الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المدح عند ابن رشيق المسيلي
"دراسة فنية"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر
الشعبة: أدب عربي تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
*- آمنة قمري.

إشراف الأستاذ:
*- علاوة كوسة.

السنة الجامعية: 2017/2016

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (31)قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾

سورة البقرة الآية 31-32.

Fotca

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل الى أستاذي المشرف "علاوة كوسة" على ما تفضل به من توجيه وتقويم لهذا البحث.

كما أتقدم بالشكر كذلك لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، اللذين تفضلا بقراءة هذا البحث وتقويمه من الأخطاء الواردة فيه، كما أتقدم بالشكر والتقدير لمعهد الآداب واللغات المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة-.

وأساتذتها المتخصصين في الأدب العربي.

Magic

goframe.net

مقدمة

مقدمة:

لقد اتفق معظم الباحثين والدارسين على أن الأدب المغاربي أو الأدب الجزائري القديم على وجه أخص، لا يزال في خطواته الأولى من حيث محاولة البحث فيه، ومحاولة اكتشاف علومه وأعلامه، ومختلف انتاجاتهم العلمية والأدبية خصوصا، ويعود ذلك إلى وجود الكم القليل والقليل من المصادر التي وجدت بحوزة الدارسين لهذا الأدب.

يعتبر الأدب المغاربي القديم جزء من الأدب العربي القديم، كما يعتبر أيضا امتدادا للأدب المشرقي، ويعد غرض المدح من الأغراض الرئيسية التي نظم فيها معظم شعراء الأدب العربي القديم، فهو من الفنون القديمة. عرفه الشعراء العرب وغيرهم من شعراء الأجناس الأخرى، ذلك نظرا لأهميته الكبيرة وارتباطه بالأفراد ومخاطبتهم لاستمالة قلوبهم حيث يعتبر طريقة من طرق التعبير والإشادة بخصال الفرد وذكر محاسنه وإنجازاته، كذلك ذكر معظم الإنتصارات التي حققها ذلك الفرد في أمصار مختلفة ظلت مخلدة عبر التاريخ وذلك في شكل موضوعات عديدة.

من هنا تنطلق إشكالية الدراسة:

هل كانت المقطوعات الشعرية للشاعر ابن رشيق معبرة عن مدحه تجاه ممدوحه؟ وإلى أي صنف من الأصناف ينتمي هذا المدح؟، علما أن المدح يأتي بحسب الممدوح؟

من أهم الأسباب التي جعلتني أهتم بأدبنا القديم هو قلة المصادر التي تعالج هذا الأدب، إضافة إلى التهميش الذي يلقاه هذا الأدب مقارنة بغيره من الآداب الأخرى في مختلف العصور.

من هذا المنطلق رأيت أن أقوم بإنجاز هذا البحث الأدبي متناولة شعر أدبنا القديم وبخاصة فن المدح. الذي كان خير معبر في هذا الموروث الأدب، وذلك من خلال المقطوعات الشعرية للشاعر ابن رشيق التي جسدت هذا الفن خير تجسيد، كما أن هناك من الدراسات من تناولت أغراض أخرى.

الهدف الذي قصت وصوله من خلال هذا البحث هو إظهار مدى تأثر الشاعر ابن رشيق بممدوحه (ملك، وطن، بلد...) والنظم فيه.

مقدمة:

لقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي وخاصة في الفصل الأول، أما عن الدراسة فقد خضعت للمنهج الفني الجمالي، الذي يعتمد على اللغة والأسلوب والموسيقى الشعرية.

أما الخطة التي اتبعتها فهي مقسمة إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، حيث تطرقت في التمهيد إلى الحياة في ظل الدولة الصنهاجية، أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان فن المدح في الشعر العربي القديم نشأته وتطوره وشروطه وبناء قصيدته وأنواعها وذلك من خلال بعض النماذج في غرض المدح.

أما الفصل الثاني فقد عني بالدراسة الفنية من خلال بناء القصيدة ولغتها وأسلوبها وألفاظها، إضافة إلى البناء الموسيقى في هاته المقطوعات الشعرية، ثم أنهيت بحثي بخاتمة جاءت كخلاصة لنتائج البحث.

قد استفادت هذه الدراسة من جملة من المصادر والمراجع التي ساعدتني في الإلمام بموضوع البحث منها:

ديوان ابن رشيق القيرواني بالدرجة الأولى، وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ولسان العرب لابن منظور، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.

لقد واجهتني بعض الصعوبات التي تمثلت في قلة المصادر والمراجع حسب علمي، خاصة المغاربية منها، إضافة إلى عدم توفر الكثير من البحوث حول هذا الموضوع.

على الرغم من كل هذا أحمد الله تعالى على تجاوز هذه الصعاب وإتمام هذا البحث.

في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف "علاوة كوسة" على ما تفضل به من توجيه وتقويم لهذا البحث.

كما أتقدم بالشكر كذلك لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، اللذين تفضلا بقراءة هذا البحث وتقويمه من الأخطاء الواردة فيه، كما أتقدم بالشكر والتقدير لمعهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف –ميلة–. وأساتذتها المتخصصين في الأدب العربي.

أسأل الله العلي القدير أن يحقق هذا البحث ولو القليل من الفائدة لكل من اطلع عليه.

آخر دعوانا آن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين.

تمهيد

جوانب الحياة في ظل الدولة الصنهاجية[*]: (362/543هـ، 973-1148م):

1- الحياة السياسية:

برز الصنهاجيون، على مسرح التاريخ الجزائري زهاء قرنين من الزمن (من منتصف القرن4 إلى أواسط القرن 6هـ)، حيث تميزت هاته الفترة بأحداث مغاربية مؤلمة شائكة تارة مفرحة لبعض الفرق والميولات السياسية تارة أخرى، وكان الصنهاجيون ممن أسهموا في ترجيحها لصالح طرف على حساب آخر، وكان طرفهم المرجح والمتعصب له سلالة الفاطميين على حساب الأمويين في الأندلس وطوائف أخرى طموحة لاعتلاء سدة الحكم والاستئثار بجهة من الجهات[1].

هم "المعز"[**]بالرحيل إلى مصر عام 361هـ، ولم يتوان لحظة في ترك الولاية "لبلكين"([***]) الذي كان يلقب "بيوسف" تارة، و"أبا الفتوح" تارة أخرى. ما كاد الخليفة الفاطمي يستقر في القاهرة حتى نشبت الفتن البرية في معظم الحواضر التاريخية، فتصدى لهم بما في ذلك تلمسان التي طرد منها التلمسانيون الزناتيون، غير أن التلمسانيين رفضوا الخضوع له، وفي النهاية استسلموا له، فعفا عنهم آمرا إياهم بالانتقال إلى أشير قاعدة الزيريين[2].

قويت شوكت "بلكين"، ونشر سلطانه على تونس والمغرب الأوسط وجزء من المغرب الأقصى، حيث فتح فاس، وقطع دابر زناته التي كانت قد استولت على سلجماسة، بل لم تنج منه إلا سبتة، حتى وإن دفع حياته ثمنا لتلك الفتوح، وهو عائد لقاعدة ولايته، ليخلفه ابنه

(*) - "صنهاجة": نسبة إلى "صنهاج"، "أحد أبناء برنس بن بر بن مازيغ، بن كنعان بن حام بن نوح"؛ قبيلة عربية أو بربرية، أصلها حميري من مدينة سبأ. (المرجع الشبكة العنكبوتية).

(1)- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزئر (د-ط)،5، 2010م، ص03.

(**)-"المعز بن باديس": أعظم ملوك بني زيري في "المهدية"، حقق لهم مجدا في القيروان قبل أن يرحل منها إلى "المهدية".(المرجع الشبكة العنكبوتية).

(***)- "بلكين بن زيري": بن مناد الصنهاجي، ينسب إلى حمير، مؤسس الامارة الصنهاجية بتونس، يكنى "بأبي الفتوح وسيف الدولة، واسمه يوسف". (المرجع الشبكة العنكبوتية).

(2)- المرجع نفسه، ص04.

"المنصور" عام 375هـ، الذي عظمت في زمنه الفتن والخروج عن طاعته الأمر الذي جعله يلاحق أعدائه في كل مكان من المغرب الأوسط[1].

تعاقب على إمارة الدولة الصنهاجية كل من أبناء وأحفاد "بلكين بن زيري" (362-373هـ) متمسكين بالولاء للخلافة الفاطمية بالقاهرة، ومن أشهرهم "باديس بن المنصور[*] (386-406هـ)" الذي انفصل عنه عمه "حماد [**] سنة (405هـ-1014م) وأسس دولة مستقلة، قاعدتها قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط، وكذلك المغز بن باديس" (406-453هـ)، الذي ساد الأمن في أيامه، فازدهرت البلاد وظهرت بها حركات أدبية وفكرية راقية[2].

وفي سنة (435هـ-1043م)، انتفض أهل القيروان ضد الدولة الفاطمية، مما أدى "بابن باديس" لموالات الرأي العام وخلع الخلافة من الفاطميين وجعلها في يد العباسيين سنة (439هـ، 1047م)، لكن ما لبثت القيروان إلا وسلمت للفاطميين، حيث انتقل "ابن باديس" إلى المهدية وتوفى فيها فخلفه إبنه "تميم" (453-501هـ). على جزء يسير من ساحل إفريقيا، أما بقية الإمارة فقد انقسمت واستولى النورمان على صقلية سنة (484هـ-1091م) وعلى المهدية سنة (543هـ، 1148م)، فغادرها آخر الأمراء الصنهاجيين "الحسن بن علي (515-543هـ) إلى المغرب الأقصى مستنجدا "بعبد المؤمن بن علي"[3].

2- الحياة الحضارية:

ورث الزيريون معالم مشرفة جدا عن غيرهم من الإمارات والدول السابقة كما أضافوا عليها الكثير، مما جعل كلا من (القيروان والمهدية وأشير، وبجاية...) غنية بمعظم المعالم

(1)- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، المرجع السابق، ص04.

(*) - "باديس بن المنصور": بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري من ملوك الدولة الصنهاجية، بالقيروان بعد أبيه. (المرجع الشبكة العنكبوتية).

(**)- "حماد بن بلكين": مؤسس الدولة الحمادية في بجاية. (المرجع الشبكة العنكبوتية).

(2)- الموسوعة العربية العالمية.

(3)- المرجع نفسه.

الحضارية "كالحدائق، والمزارع، والأشجار، والحمامات، والطرقات، والآبار، والعيون والصناعات المعدنية، والنسيجية والجلدية، والأسواق الأسبوعية والموسمية..." خاصة وأن الجزائر كانت تتميز بطلتها الطبيعية البهية[1].

لقد وصفت الجزائر من طرف الكثير أمثال الرحالة "ابن حوقل والإدريسي..."، وذلك لأنها لطالما كانت تزخر بالكثير من التمدن والتعايش المدني، رغم كل الفتن المستمرة في كل من العهدين الزيري عامة والحمادي خاصة.

3- الحياة الأدبية والعلمية:

عرفت الجزائر خلال القرنين الذين عاشتهما في ظل الفترة الصنهاجية العديد من العلماء والفقهاء والمحدثين والشعراء والأدباء...الذين ذاع صيتهم في آفاق المغرب العربي؛ أمثال: "أبو بكر بن يحي الوهراني 431هـ في علم الحديث، كذلك العالم اللساني أبو القاسم البسكري 65هـ" وغيرهم، أما في الأدب "عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الكاتب الشاعر البارع والناقد الثاقب، وابن رشيق المسيلي الذي كان متأثرا به..." [2].

لقد ظلت "قلعة بني حماد" كذلك منارة للعلم تزخر بالعديد من العلماء والأدباء اللذين كونوا ثقافة عالية ونهضة كبيرة مست جميع الميادين، أمثال "أبو الفضل النحوي صاحب المنفرجة" التي ينشد في مطلعها:

اشتَدَّي أزمَةُ تَنفَرِجي *** قَدْ آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

والشاعر المفلق "ابن حمديس الصقلي".

(1)- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص06.

(2)- المرجع نفسه، ص08،09.

الفصل الأول: فن المدح في الشعر العربي القديم نشأته وتطوره وشروطه وبناء قصيدته وأنواعه

المبحث الأول: تعريف المدح

المبحث الثاني: المدح في الشعر العربي القديم

المبحث الثالث: أنواع المدح

المبحث الأول: تعريف المدح

أولا: لغة

الميم والدال والحاء أصل صحيح يدل على وصف محاسن بكلام جميل. ومدحه يمدحه مدحا أحسن عليه الثناء[1] وهو نقيض الهجاء [2]" من قولهم انمدحت الأرض إذا اتسعت فكأن معنى مدحته: وسّعت شكره"....والمديح والمدحة بالكسر والأمدوحة بالضم ما يمدح به من الشعر.

وأنشد أبو عمرو لأبي ذؤيب:

لو كان مدحة حي مُنشرا أحدا أحيا أباكُنّ يا ليلى الأماديحُ [3].

ويقال : فلان يتمدّح إذا كان يقرظ نفسه ويثني عليها [4].

ثانيا: اصطلاحا

هو ضرب من فنون الشعر يُعنى ببيان محاسن الممدوح وتعداد مآثره وإبراز فضائله أو هو وصف الشاعر غيره بالجميل والفضائل وثناؤه عليه، قال اِبن منظور: المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء[5].

---

(1)- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة 1399هـ/1979م،ج5، ص308.

(2)- أبو الحسين علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)،1421هـ/2000م، ج3 ، ص268.

(3)- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض (مرتضى الزبيدي): تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت)، (د.ب)، ج7، ص111، "وما بين الشولتين نقله عن الخطيب التبريزي".

(4)- محمد بن أحمد الأزهري الهروي: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى 2001م، ج4، ص251.

(5)- محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط.3)، 1414هـ، ج2، ص589.

قال الله تعالى: –في حق نبيه أيوب عليه السلام–: ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾[1].

وقال أيضا: – لنبيه محمد–: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2]

ثالثا: نشأة المدح وتطوره

لقد مرت المديحة في نشأتها وتطورها بمراحل عديدة قبل أن تصل إلى صورتها اليوم شأنها شأن باقي أضرُب الشعر وفي الأسطر الموالية لمحة عن مراحل تطور فن المدح.

ذهب بعض أهل الأدب إلى القول بتأخر ظهور فن المدح في القصيدة العربية على عكس باقي الفنون الشعرية، قال الدكتور "بدوي": "لم يكن هذا الباب من بين أبواب الشّعر العربي في أوّل نشأته، وأكبر الظّنّ أنّه تأخّر في الوجود عن كثير من فنون الشّعر التي يتغنّى فيها الشاعر بعاطفة قديمة شخصيّة"[3].

ولكنّ هذا الرأي بعيد. ذلك أنّ المدح يرجع إلى أقدم ممّا ذكره الدكتور "بدوي"، إذ أنّ هذا الغرض الشعري من آنَس الفنون للعاطفة الإنسانيّة وأقربها، لذلك كان من الأغراض الرئيسة. أليس الإنسان مُنذُ أن التفت إلى الآلهة وعَبَدَها وأثنى عليها، عرف هذا الفنّ وتغنى به ؟ أو ليست الأمُّ منذ أن أحسّت حنان الأمومة ورأت الطِّفلَ في حِضنِها وأُعجِبَت بجماله وتأثرت بحركاته فأثنت عليه، وعدَّدَت محاسنَه ورقّصته بأُغنيتها، عَرَفَت هذا الفَنّ وأنشأته؟ فالفَنّ من حيثُ الاتّصال بالعاطفة قديمٌ وعريقٌ لكن التُّراث العربي لم يحفظ لنا منه في ثوبيه

(1)– سورة ص: الآية 44.

(2)– سورة القلم: الآية04.

(3)– أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، مطبعة دار النّهضة، القاهرة، سبتمبر 1992، ص171.

الأصليين شيئا كما حفظ لنا سائر الفنون، ذلك لِأَنَّ الدّواعي لِحفظ المَدح في ثوبه القديم لم تكن قويّةً مثل سائر الفنون[1].

ولَعَلّنا لا نبعد من الحقيقة إذا ادّعينا أنّ للمدح صورةً أُخرى قديمةً امتزجت بفنّ آخر وهو الغزل، أليس الغزل في الأكثر هو الثَّناء على الحبيب وبيان الأحزان والأشواق؟ فاحتجبت المَدح تحت عنوان الغزل وقلّ الالتفات إليه من حيث أنّه مدح، حتّى ظُنّ أنّه فنّ جديد لم يكن له أصل قديم، وكذلك نرى المدح في طيّات الفخر، وبلُغة أَخرى يُعَدّ المدحُ من الفخر فما كان "عمرو بن كلثوم"(*)، في معلّقته إلّا مُفاخراً بقومه مادحاً لهم وكذلك "الحارث بن حلزة"(**)، في دفاعه عن بني بكر. هذه هي صور القديم من المدح، ثُمّ تطوّر المدح وشقّ طُرُقاً أخرى كما نراه اليوم في الأدب العربي، فوضع الشّعراءُ مكان الآلهة والطِّفل والحبِّ الملوك والأمراءَ والأصدقاءَ وغيرَهم، إعجاباً أو رغبةً أو رهبةً.

نهج شعرُ المدح في بداية هذه المرحلة الأخيرة منهجه القديم، فجرى مع إعجاب الشاعر بشخصيّة الممدوح والتأثُّر بفضائله ومآثره، أو الشكر عليه. لم يستطع أداءَ حقّها إلاّ

---

(1)- المرجع السابق، ص171.

(*)- "عمرو بن كلثوم" بن مالك بن عتاب بن ربيعة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار يكنى أبا الأسود وقيل أبا عمير وهو فارس شاعر مقدم سيد أحد فتاك الجاهلية، وبلغ خمسين ومائة سنة ورأى من ولده وولد ولده خلفاً كثيراً وكان خطيباً حكيماً وأوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة. وقصيدته التي أولها: ألا هبي بصحنك فاصبحينا. إحدى مفاخر العرب قام بها خطيباً في فتكه بعمرو بن هند وقتله، (ينظر: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: معجم الشعراء، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1402 هـ/ 1982م ص202).

(**)- "هو الحارث بن حلزة اليشكرى"، من بنى يشكر"، من بكر بن وائل، شاعر جاهلى، اشتهر بقصيدته: آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء.

يقال إنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا، فشىء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح؛ وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحسانا لها.الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ، ج1،ص193.

بالشعر تعظيماً أو تخليداً لها، فلم يكن للشاعر مطمعٌ وراء مدحه هذا. لعلّ خيرَ مثالٍ لذلك مدحُ "إمرؤ القيس"(*)، بني تميم لمّا أجاروه، فقابلهم الشاعرُ بالمدح وشكرَهم تكريماً. فقال:

كأنّي إذ نَزلتُ على المُعـــــــلّى نَزلتُ على البَواذِخِ مِن شَمــام

فما مَلِكُ العراق على المُعلّـــى بمُقتدر ولا مَلِك الشـــــــآم

أقرَّ حَشا امرِئ القيس بن حُجرٍ بنُو تَيمٍ مَصابيحُ الظَّـــــلام[1].

فلَمّا جاء "زُهير بن أبي سُلمى"(**) ورأى فضلَ "هرم بن سنان" و"حارث بن عَوف" في حَسم النزاع بين قبيلتَي"عبس وذُبيان"، الذي دام أربعين سَنةً وأنتج لكُلّ منهما أضراراً فادِحةً، وشاهَد ما قام به هذان السيّدان في إطفاء نائرة الحرب، وما تحمّلا من أعبائها بأموالهما في دماء القتلى، وكانت ثلاثة آلاف بعير[2]؛ أُعجِبَ بشخصيّتهما وتأثّر عميقاً

(*)- "امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي". شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً. قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات. (ينظر: أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني: معجم الشعراء العرب، تح، فاروق اسليم، دار صادر بيروت، لبنان، (ط1)، 1425هـ/2005، ص171).

(1)- امرئ القيس: ديوان، اعتنى به وشرحه، عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط2)، 1425هـ/ 2004م، ص153،154.

(**)- "زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني"، من مُضَر. حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة.

(2)- زهير بن أبي سلمى: الديوان، شرحه وقدمه له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1) 1407هـ/1988م، ص203.

بمساعيهما الحميدة، وامتلأ قلبه وصدره بعظمتهما، فهاجت قريحته وماجت عبقريته فمَدَحَهما بقصائده الرائعة ومدائحه الخالدة فمنها:

تَداركتُما عَبساً وذُبيانَ بَعـــــــدَ ما تَفانَوا ودَقُوا بَينَهم عِطرَ مَنشِمِ

فأصبَحَ يَجري فيهمُ مِن تِلادِكُـــم مَغانِمُ شَتّى مِن إفال المُزَنّـــــَم

يُنَجِّمُها قومٌ لِقَـــــــومٍ غَرامَـةً لَم يُهريقُوا بينَهم مِلءَ مِحجَـــــمِ[1]

وجاء "الأعشى" وجعل الشعرَ مَتجراً وقَصَد به أقطارَ الأرض ونواحيها الشاسعةَ حتّى بَلاط ملوك العَجم، ونال عطايا وجوائز فيها، فجرى المدح في هذا المَجرى، وجاء الآخرون من الشعراء واقتفوا منهج القدامى منهم "كالأعشى"، فعمّت البَلوى في الاستجداء بالشعر بينهم، فأصبحوا يَستَجدُون بشعرهم الخلفاءَ والمُلوك، يطلبون ذلك في صراحةٍ بَعدَ أن كان الشّاعر يأنف من السؤال الصّريح؛ ومع كُلّ هذا فالشاعرُ العربي وخاصةً الجاهلي كان يُحافظُ على كرامته في مدح المُلوك والسادات فَلَم يتذلّل لهم وهو في أشدّ الحاجة إلى عطائهم. كما نرى في شعر"عديّ" و"النّابغة" وحتّى" الحُطيئة"، الذي صوّر بؤسه وضعفه، غيرَ أنّه كان يرهب بلسانه أكثر من أن يتذلّل.

وهناك عدداً من الشُعراء أنفُوا من أن يَتّخذوا المدح غَرَضَاً من أغراضهم، ك "جميل بن معمر" و"عُمر بن أبي ربيعة" و"العباس بن الأحنف"، لكنّهم بجانب الآخرين كقَطرةٍ مِن حرٍ وعَبرَةٍ مِن نَهرٍ، وأنّ بلوى الإستجداء عَمّت مُعظَم الشعراء[2].

(1)- المرجع السابق، ص76.

(2)- أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص172.

1- المدح في العصر الجاهلي:

بدأ المديح في الجاهلية شعرا يقال في مناسبات لا يستطيع المال أن يفيها حقها فكان إقرارا بفضل أو تقديرا لموقف، وكان الشاعر يجد نفسه منساقا إلى التعبير عن مشاعره دون أن يبتغي جزاءا أو معروفا وكأنه شاهد حق، وكان الناس يأخذون شعره دليلا يتناقلونه للتأكيد على قرب الممدوح من الفضيلة، وكان الشعر الجيد من هذا المديح يتحول إلى أمثال سائرة يتناقلها الناس جيلا عن جيل، ولم يتحول الشعر إلى أداة للتكسب إلا حين لذّ لجماعة من الممدوحين أن يقال فيهم ما يرضي كبرياءهم وغرورهم فعمدوا إلى الأموال والهدايا يغدقونها على الشعراء يستحثون قرائحهم لنظم الأشعار في التغني بأعمالهم ، وكان نتيجة ذلك أن ذاق الشعراء حلاوة العطاء، فانشغلوا به عن كل شيء، وسهل عليهم أن ينظموا قصيدة من بضعة أبيات من الشعر ليتقاضوا لقاءها مبلغا من المال يسد حوائجهم[1].

2- المدح في صدر الإسلام:

لما جاء الرسول -ﷺ-خفت الشعر بصورة عامة، عدا شعراء الكافرين الذين راحوا يحاربون الرسول-ﷺ-فاضطر النبي إلى الرد عليهم بسلاحهم، فكان حسان بن ثابت من الشعراء الذين تبعوه ووقفوا إلى جانبه مدافعين عن الدين الجديد.

وقد رفض النبي-ﷺ- أن يمدحه الشعراء إلا بما يتصف به ويدعو الناس إلى اعتناقه فالمديح مقبول عند الرسول-ﷺ- مادام صادقا ويرمي إلى غاية سامية، وهكذا كان الشاعر المتكسب محتقرا في عهد النبي والخلفاء الراشدين من بعده، فكان "عمر بن الخطاب" لا يكترث بالمديح وقد صرف همه إلى الوحدة القومية والخروج بها وبالدين الجديد إلى ما وراء

(1)- ينظر: محمد شرف بياني، المدح في الشعر العربي القديم نشأته وتطوره وبناء قصيدته، مقال بإشراف الدكتور فيروز حريرجي، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم وتحقيقات طهران(23ماي2010م)، ص01.

الجزيرة العربية ، وكان عليّ بن أبي طالب لا يرضى التزلف الذي يأتيه الشعراء في مدائحهم وهو القائل لأحدهم وقد أطال في الكلام "يا هذا أنا دون ذلك، وفوق ما في نفسك" [1].

3- المدح في العصر الأموي:

ما إن انقضى عهد الخلفاء الراشدين حتى عادت الخصومات بين العرب شبه ما كانت عليه في الجاهلية، فإذا هناك أحزاب تتصارع بالسيف وبالكلمة، ولكل حزب شعراء ينطقون باسمه ويمدحون زعماءه ويروجون لسياسته ويهجون خصومه ويردون على شعرائهم. وقد تحول الشعر بفعل هذه الأحداث والصراعات من جديد إلى أداة للتكسب وخاصة على أيدي الخلفاء الأمويين الذين شجعوا هذا الاتجاه في الشعر وأغدقوا بسخاء على شعراء المديح الذين توافدوا إلى الشام من كل الأقطار المجاورة، فها هو الأخطل يتوج شاعر البلاط الأموي حيث قال:

ويوم صفين والأبصار خاشعة أمدهم- إذ دعوا ربهم- مدد

وكل هذه الظواهر أدت إلى نتائج سيئة في حياة الأدب العربي، فجعلت الشعر أسير المال مقيدا بقيود المادة لم يستطع أن يتخلص من هذا الارتهان طوال أزمنة طويلة[2].

4- المدح في العصر العباسي:

مع بداية العصر العباسي كان المديح قد تبوأ المكان الأرحب من الشعر العربي وأصبحت سائر الأبواب تبدو إلى جانبه صغيرة، إذا لم نقل أنها أصبحت في خدمته على أن التكسب بلغ أشده في ذلك العصر، وبلغ في افتضاح أمره وابتذال سوقه أن "الجاحظ" حذر الناس من الوقوع في حبائل المتكسبين، فقال: "ما ظنك بالشعراء والخطباء الذين إنما تعلموا

---

(1)- المرجع السابق، ص01.

(2)- المرجع نفسه، ص02.

المنطق لصناعة التكسب؟"، وكانت قصائد المديح متشابهة تبدأ بالنسيب المتكلف ثم تذكر الطريق الذي سلكه الشاعر ليصل إلى ممدوحه والمشقات التي تكبدها، والخيل أو الناقة التي ركبها ليصل إليه، وبالنتيجة ظل المديح آخذا بمقدمة الشعر العربي حتى ضيع عليه الكثير من المعاني الإنسانية وصرفه عن مواطن فنية كان قادرا على اكتشافها والإبداع فيها، وأبعده عن عالم الوجدان وحرم عليه سلوك طريق الملحمة أو المسرحية[1].

*** المدح بعد العصر العباسي:**

انتقل المديح إلى الأندلس بانتقال العرب إليها وراح الشعراء يقلدون أساليب المشارقة وقد ساعد على ازدهار شعر المديح ما حصل من تفرقة الدويلات في عهد ملوك الطوائف وتنافس الأمراء على احتضان أرباب الشعر والكلمة، أما في عصر الانحطاط فقد ألح الشعراء على القديم وعادوا يكررونه دون تبديل في صوره ومعانيه حتى سقط الشعر على أيديهم كما سقط العالم السياسي للمسلمين في ظلمات داجية [2].

5- المدح في العصر الأندلسي:

لقد كان غرض المدح في العصر الأندلسي موجها إلى الأمراء والخلفاء والحكام، ليتناول في ذلك الصفاة التي كانوا يمتازون بها (كالشجاعة والوفاء والكرم)، والإنتصارات التي كانوا يحققونها في حروبهم... وقد تميز هذا الغرض بجزالة اللفظ وسهولته إضافة إلى فخامته ورقة معانيه. وفقا لطبيعتها إلى جانب ميله إلى تأنق في العبارة والصياغة، لقد اختلف بناء القصائد المدحية من شاعر لآخر؛ بين سير على الطريقة القديمة وبين الولوج إلى الموضوع عموما، أو تقديم شيء من الغزل أو وصف الطبيعة... ثم الانتقال إلى المدح

(1)- المرجع السابق، ص03.

(2)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن أشهر شعراء الأندلس في هذا الغرض الشاعر: "ابن حمديس، وابن هانئ، وابن زيدون"[1].

6- المدح في الشعر المغاربي القديم:

لقد برز الشعراء المغاربة في نظم غرض المديح النبوي أي مدح الرسول -ﷺ-؛ وذلك راجع لتأثرهم بلغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، حيث يعرفه "زكي مبارك": "بأنه فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص" [2]، ومن أبرز هؤلاء الشعراء: "ميمون الخطابي" في أحسن قصائده "يائيته المشهورة"، كذلك الشاعر: "أبو حمو موسى الزياني"؛ وله مجموعة من القصائد نظمها في ذكرى المولد النبوي الشريف و"ابن الخلوف القسنطيني"؛ وله في هذا الغرض ديوان كامل سماه "جنى الجنتين، في مدح خير الفرقتين".

(1)- المرجع السابق، ص04.

(2)- ينظر: زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (ط1)، 1935م ص17.

المبحث الثاني: المدح في الشعر العربي القديم

لقد اقتصر الشعر العربي القديم على الفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء وأغراض أُخرى كالغزل ووصف الطبيعة والخمريّات والحِكَم والمواعظ.

فالمدح في الشعر القديم كان من الأغراض الرئيسة لاتصاله بالحياة القبليّة؛ يُدافع الشاعر فيه عن قبيلته ويمدح ساداتها وفرسانها ولا يجد الشاعر غضاضة في هذا المدح لأنّه يعود إليه وهو فرد من أفراد قبيلته[1].

أولا: شُروط المَديحَة

كانت المديحة في بداية أمرها حُرّةً كغيرها، لم تَخضَع لقرار ولم تَعرف قيداً، أنشأتها الأحاسيسُ الصّادقة وغَذّتها القريحة الهائجة، فلما استولى عليها المتلّفون وتوسّل إليها المتّجرون ومَلَكها النّاقدون، أخذوها وغلّوها وخَضعُوها لِقواعد وأصولٍ وضعوها هم أنفسهم.

يقول "قُدامة بن جعفر": "لما كانت فضائل النّاس من حيث إنّهم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، عليما عليه أهل الألباب من الاتّفاق في ذلك إنّما هي: الَعقل والشَجاعة والَعدل والعفّة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مُصيباً والمادحُ بغيرها مُخطِئاً. ويمكن أن يقتصر شاعرٌ على بعض فلا يُعدّ مُخطِئاً بل مُقتصراً أويتّكئ على بعض ويُفرط فيه أكثر مِن غيره"[2]، ثُمّ إنّه لما رأى الشعراء قد تَفنّنوا في المدح وتناولوا فضائل أَخرى، كالقناعة والسماحة والحماية والصبر على المُلمّات وغيرها، تكلّف في إرجاع هذه الصفات إلى تلك الفضائل الأربع.

---

(1)- ينظر: محمد شرف بياني، المدح في الشعر العربي القديم نشأته وتطوره وبناء قصيدته، ص04.

(2)- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي: نقد الشعر، تح، أبو الفرج، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، (ط1) 1302هـ، ص71.

فقدامة كما ترى يَضعُ أمام المَدح دائرةً ضيقةً تتضمنُ الفضائل النّفسيّة فقط، وهي: العقل والشجاعة والعدل والعفّة، وأمثلة مِن النّاقدين تأييد لِنظريّته. لكن "ابن رشيق القيرواني" لا يُوافقه، فيقول: "وأكثر ما يُعوّل على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة، فَإن أُضيفَ إليها فضائل عرضية أو جسمية كالجمال والأُبّهة وبسطة الخُلق وسعة الدنيا وكثرة العَشيرة كان ذلك جيّداً. إلاّ أنّ قُدامة قد أبى منه وأنكره جُملةً وليس ذلك صوابا، وإنّما الواجب عليه أن يقول: إنّ المدح بالفضائل النفسيّة أشرف وأصحّ، فأمّا إنكار ما سواها كرّةً واحدةً فما أظُنُّ أَحداً يُساعده فيه ويوافقه عليه"[1]، وجديرٌ بالذكر أن نَعترف أنّ تيّار الشعر العربي طوال تاريخه كغيره مِن الآداب جرى مع الظروف السائدة على بيئَته، فانعكس عليه في كلّ عصر ما واجهته تلك البيئة من الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية والمقوّمات الخَلقيةِ والخُلقيّة قليلاً أو كثيراً. ومن البديهي أنّ الحياة بأقسامها وكذا القيم الرائجة فيها كانت دائماً في تطوّر وتحوّل. فما راقه الإنسان منها أمِسَ وأُعجِبَ به يكرهه اليَوم ويَطرده وما أَحَبّ أن يتّصف به في الماضي وتنافس عليه يتَبَرّأ منه الآن ويُنفّض ثيابه من غباره. فالقِيم الممدوحة في العصر الإسلامي غيرُ القيم المقبولة في العصر الجاهلي، فلا يَصحّ لَنا أن نُعَيّن لشعر المدح نِطاقَاً خاصّاً نُوصِي الشاعر أَن يُحافِظَ عليه وننقد شعره به.

وممّا ذكروا من شروط المديحة أيضاً أن يكون أسلوبُها جزلاً، وألفاظها نَقيّةً مُختارةً لا ابتذال فيها ولا سُوقيّة، وأن تكون مُتوسِّطة الطول إذا قيلت في مدح عظيمٍ خَوفاً من سآمته. وأن يُعطَى فيها كلِّ شخصٍ حقَّه ويُوصَف بما يستحقّه، فمثلاً يُمدح القائد بالجود والشّجاعة وما تَفرّع منهما؛ والقاضي بما يُلائم مع العدل والإنصاف، وتقريب المظلوم وتبعيد الظالم والكاتب بحُسن الرَّويّة وسرعة الخاطر وشدّة الحَزم وقِلّة الغَفلة وجَودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المعضلات بالرأي"، وإذا تركنا النُّقّاد ووقفنا عند الشّعراء أنفسهم وبَحثنا عن

(1)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، والطباعة، (ط5)، 1401هـ/1981م، ج2، ص135.

وصاياهم في هذا الفنّ، رأينا "أبا تمّام" هكذا يُوصي "البُحتري": "إذا أخذتَ في مدح سيّدٍ ذي أياد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأَبنِ معالمه وشَرّف مقامه، وتقاضَ المعاني واحذر المجهول منها. وإيّاك أن تشين شِعرك بالألفاظ الزريّة، وكُن كأنّك خيّاطىَ قطع الثياب على مقادير الأجسام"[1].

ثانيا: الغُلوّ والمبالغة في المديحة

وصف "عمر بن الخطاب"–رضي الله عنه–"زُهيراً" بأنّه لا يمدح الرّجل إلاّ بما فيه ومعنى هذا أنّه يُثني بصدقه وبالتزامه الحقيقة، فلا يتجاوزها فى حشوَ مديحته بالغلوّ والإغراق والمبالَغة وما لا أصل له. لكن "قدامة" ذكر أنّ النقاد اختلفوا في ذلك، فطائفة منهم يُحسنون الغلوّ والمبالغة وغيرهما، وأُخرى يرفضونها، ويقف قُدامة نفسه بجانب الطائفة الأولى مُتمسِّكاً بأن أحسن الشعر أكذبه[2].

وقلّما نرى غلوّ النّابغة في وصفه لسيوف الغساسنة، حيث قال:

تَقُدُّ السلوقيَّ المُضاعفَ نسجُه وتُوقِدُ في الصُّفّاح نارَ الحُباحِب

ومَهما يكن من أمر فقد كان الخلفاء يُحبّون المُبالغة والإغراق في مدحهم، ويُجزلون العطاء فيهما، حيث اجتمع الشعراء بباب المعصم، فبعث إليهم : مَن كان منكم يُحسن أن يقول مثل قول "النُميري" في أمير المؤمنين الرشيد:

إنّ المكارمَ والمَعروفَ أوديَـــــة أحلّك الله منها حيث تَجتَمـــــــعُ

إذا رفعتَ أمـــراً فالله رافـــعُـــه ومَن وَضَعت مِنَ الأقوام مُتَّضِـــــعُ

---

(1)– المرجع السابق، ص134.

(2)– قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي: نقد الشعر، ص72.

مَن لم يكن بأمين الله مُعتصِمـــاً فلَيسَ بالصَّلوات الخَمس يَنتفِـــعُ

إن أخلَفَ الغَيثُ لَم تُخلِف أنامُلهـأ و ضاق أمرٌ ذَكَرنـــاه فَيَتّســـــــعُ

فَليَدخُل . فقال "محمد بن وهب": فينا مَن يقول خيراً مِنه، وأنشدَ:

ثَلاثَةٌ تُشرِقُ الدُّ نيا بِبَهجـــتـــــه مشَمسُ الضُّحى وأبو إسحاق والقَمَرُ

تحكي أَفاعيلَه في كلّ نائِلة الغَيثُو اللَّيثُ والصَّمـــصـــامـة الذَكَـــــــر

فأمر بإدخاله وأحسنَ صِلته[1].

أنشد "كُثيّر" عبدَ الملك بنَ مروان:

على ابن أبي العاصِ دِلاصٌ حَصينَةٌ أجاد "المَرِئُ" نَسجَها وأذالَه

فقال عبدُ الملك: قول الأعشى أحسن من قولك:

كُنتَ المقدّم غيرَ لابسٍ جُنّةً بالسّيف تضرب مُعلماً أبطالَها

فقال يا أميرَ المؤمنين : وصفتُك بالحَزم، ووصف الأعشى صاحبه بالخَرق[2].

رُوي أنّ "المُستعين" قَصَدَه الشعراءُ، فقال: لستُ أقبلُ إلاّ ممّن قال مثلَ البحتري في "المتوكّل":

ولَو أنّ مُشتاقاً تَكلّفَ فَوقَ ما في وسعه، لَمشى إليك المِنبَرُ

---

(1)- المصدر السابق، ص138.

(2)- المصدر نفسه ، ص139.

قال "البلاذري" المؤرخ وكان من جلسائه: فرَجَعتُ إلى داري وأتيته فقلت : قد قلتُ فيك أحسنَ ممّا قاله البحتري في المتوكل، فقال: هاته، فأنشدتُه:

ولَو أنّ بُردَ المُصطفى إذ لَبِستَـــه يَظُنُّ، لَظَنَّ البُردُ أنّك صاحبُـــه

وقال وَقد أُعطيتَه ولَبــســتـــــَه نَعَم، هذه أعطافُـــــه ومَناكِبه

فقال: ارجع إلى المنزل وافعل ما آمُرك به. فرجعتُ فبعثَ إليّ سبعة آلاف دينار وقال: ادّخر هذه للحوادث من بعدي، ولَك عَلَيَّ الجراية الكافية ما دُمتُ حيّا[1].

لمّا كانت الرغبة أو الرهبة قامت مقام إعجاب الشّاعر بشخصية الممدوح في إنشاء المدائح، أصبح همُّ الشاعر مقصوراً على أن يُرضي ممدوحه ويسوقه إلى ما يريد منه، فلم يَأبَ أن يَتوسّل إلى الغلوّ والإغراق والكذب، وأن يجعل الوضيع رفيعاً والجبان شجاعاً واللئيم كريماً إذا رَضي، ويعامل بالعكس إذا سَخط. لعلّ الأبيات التالية مِن "المُتنبّي" خير مثال على ذلك، وهو يمدح كافور راضياً: [2]

أبا كلّ طيبٍ لا أبا المسك وحدَه وكلّ سحابٍ لا أخُصُّ الغَواديا

ويَهجوه ساخطاً:

ما يقبضُ المَوتُ نفساً مِن نفوسه مإلاّ وفي يَده مِن نَتنِها عُودُ

وأمثال هذه الأبيات كثيرة عند الشعراء، ولهذا كان النقاد يعيبون شعر المدح ويرونه مختلقاً كاذباً ولا يهتمّون بشأنه. لكن الدكتور "أحمد بدوي" يُدافع عن المدح المُختلق المُتكلّف ويقول: "إنّ صِدق الشاعر وكذبه وإن كانا من مقاييس النّقد إلاّ أنّ للأشعار المختلقة أيضاً

(1)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تح: إحسان عبّاس، مطبعة الثقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص133.
(2)- المصدر نفسه، ص134.

دورَها في ترويج الفَضائل والكمالات، لأنّها بحيث يهواها الإنسان ويُحبّ أن يتّصف بها ويُنسب إليها وإن لم تكن فيه. فلولم يكن الشاعر المُختلِق يُصوّر بشعره الصّادر عن عاطفة غير صادقة شخصاً مثالياً يشجع النفوس أن يقتدوا به ويتابعوا خطواته، وأن يتنافسوا على تحقيق صفاته، وأن يُوالوه ويُعادوا غيره، لكان شِعرُ المدح جديراً بالإلقاء في الهاوية[1].

نَعَم إنّ المدح المُختلق يصوّر ممدوحاً مثالياً ويسبّب ترويج الفضائل والكمائل؛ أتوا تحريضَ النّاس على الإعتناق بها والتنافس فيها، لكن له هذا الخطر أن يتلقّاه المخاطب ثوباً على قدره ومدحاً يستحقه، فيغتَرّ به ويزيدَ في تيهه وضلاله.

ثالثا: بناء القصيدة المدحيّة

يستهل معظم الشّعراء مدائحهم في الغالب بذكر الديار الخالية والوقوف عليها للبُكاء أو للتحيّة والسؤال معددين المواضع التي توصل إليها، أو تحيط بها متشوّقين إلى أحبّتهم يومَ كانوا يعمرونها، مُشبّبين بهم مستعيدين ذكرى فراقهم، ثُمّ يرحلون على فرسهم أو ناقتهم مفرجين هَمّهم قاصدين إلى الممدوح فيَصِفونها عضواً عضواً، ويُصوّرون سرعتها ونشاطها وقد يصفون ما يعرض في طريقهم من حيوانات ومظاهر طبيعية، أو أنّهم قد يتركون المشبه ويَنصرفون إلى المشبه به إذا ما شبّهوا فيُدققون وصف المشبه به هذا ويتتبعون مظاهر قوّته وجماله وحركاته. حتّى إذا ما اطمَأنّت نفوسهم إلى أنّهم لم يتركوا شيئاً فيه إلاّ وصفوه عادوا إلى مُشبّههم فجعلوه مثلَه أو أفضلَ منه، ثُمّ يَنتقل الشاعر إلى المدح بعدَ هذه المقدّمة التقليديّة بحيث تُلزم الشاعر أن يذكر بُعدَ الطريق ومشاقّه وما يُعاني مِنَ السّهر والنَصَب وسُرى الليل ولفح السُّموم، وربّما جعل ناقته تَتَظَلّم شاكية ممّا يجشمها مِن مَشَقّة الأسفار

(1)- المصدر السابق، ص135.

وشدّ الحِبال وما أُصيبَ من هُزال. كلّ ذلك استعطافاً للممدوح وإيجاب حقّه عليه.قال "المُثقّب العَبدي"[1]:

إذا ما قُمتُ أرحَلُها بِـلَـيـلٍ تَأَوّه آهة الرّجل الحَزيـــنِ

تقول إذا درأت لها وضينيـــأ هذا دينُه أبــداً ودينـــي

أكُلّ الدّهرِ حَلّ وارتحـــــال أما يُبقي عليَّ ومايَقينـــي

يَرى "ابن قُتيبة" أنّ بَدء العرب مدحهم بالوقوف على الأطلال و.... طبيعي لا شُذوذ فيه، ولا يُخالف تناسق القصيدة ووحدتها؛ فيقول: "سمعتُ بعضَ أهل الأدب يذكر: أنّ مُقَصِّد القَصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الدّيار والدِّمن والآثار فبَكى وشَكا وخاطَب الرَّبع واستوقف الرَّفيق لِيجعل ذلك سَبباً لِذِكر أهلها الظَّاعِنينَ عنها؛ إذا كان نازلة العَمَد في الحلول والظَّعن على خلاف ما عليه نازلة المَدَر، لا نتجاعه ما لكلأ وانتقالهم عن ماء إلى ماء وتتبّعهم ساقطَ الغيث حيث كان [2]، ثُمّ وصل ذلك بالنَّسيب، فشَكا شدّة الوَجد وألمَ الفراق وفَرط الصَّبابة، لِيُميلَ نحوه القُلوب ويصرف إليه الوجوهَ، ولِيَستدعيَ به إصغاءَ الأسماع إليه. لأنّ التَّشبيبَ قريب مِنَ النُّفوس، لائطٌ بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العِباد مِن محبّة الغزل وإلف النّساء"... "فإذا عَلم أنّه قد استوثقَ مِنَ الإصغاء إليه والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النّصبَ والسّهر وسُرى اللّيل وحَرَّ الهَجير وإنضاء الراحلة والبعير. فإذا عَلِم أنّه قد أوجب على صاحبه حقَّ الرَّجاء وذمامة التأميل... بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزّه على السماح وفضَّله على الأشباه"[3].

(1)- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص74.

(2)- المصدر نفسه، ص75.

(3)- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

وذكر الدكتور بدوي أنّ "بعض النّاقدين عللوا ذلك بما أنّ بِداية الغزل ترجع إلى عبادة الآلهة التي كانت تُصوّر بصورة الإناث عند اليونان، وأنّه نَشأَ دينياً وأنّ الشاعر عرباً وغيره كان بَدَأ ملحمته أو قصيدته حتّى القصائد المدحيّة والتّمجيدية بالغزل، كَأنّه يقدّم بذلك بين يدَي ممدوحه أو ممجَّده دعواتٍ ورَجاءات لِيَنجِزَ له ما يريد، أو لِيُجزل له في الصّلات، لأنّ الغزل لم يُنسَ أصلُه الدّيني".

ثُمّ يُعَقّبُ على هذه النّظريّة بأنّها "لا تتفق مع الحياة الدّينيّة للعرب وأدبهم، لأنّ الغزل لم ينشأ عندهم دينيّاً ولم يتّخذوا الآلهة إناثاً"[1].

سار الشعراء على هذا النظام الذي سَلَكه القدامى في بدءِ القصائد بالمقدّمة الغزليّة والوقوف على الأطلال والدّمَن والتساؤل والبُكاء، حتّى جاء "أبو نواس" وثار عليه وجعل عمل الشعراء سُخريّاً ، وسَفّههم على ذلك وقال:

دَع عَنكَ لومي فإنّ اللّوم إغــراءٌ ودَاوِني بالتي كانت هي الـــدّاء

صَفراءُ لا تنزلُ الأحزان ساحتَها لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتــهُ سَـــرّاءُ

لِتلك أبكي ولا أبكي لِمَنزِلَـــــةٍ كانت تَحُلُّ بها هِنـــدٌ وأسمـــاءُ

حاشا لِدَرّةَ أن تُبنَى الخِيام لَهـا وأن تَروحَ عليها الإبل والشــّاءُ [2].

كان لثورة أبي نواس على هذا النّظام أثرٌ كبيرٌ، وكاد يَقضي عليه لولا أن تداركه أمران، وهما: أنّ أبا نواس شفّع ثَورته بتحقير العرب وحَطَّ منزلتهم من ناحيةٍ، ومِن ناحيةٍ أُخرى دعا إلى تعويض هذا النّظام بوصف الخَمر والقِيان وَ مجالس اللّهو. فهذان الأمران

(1)- أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص183.

(2)- أبو نواس: الديوان، المكتبة الوطنية في سوق أبي النصر، ومطبعة جمعية الفنون، (د.ط)، 1301هـ، ص06،07.

شوّها وجه هذه الثورة وخَفّفا شأنها وجَعلها غيرَ ناجحةٍ، وإن كانت قد أثّرت على الشعراء قليلاً أو كثيراً.

المبحث الثالث: أنواع المدح

تختلف أنواع المديح باختلاف الممدوحين، ونستطيع أن نميز بين هذه الأنواع أو الألوان –كما يحلو للبعض أن يسميها– ما يلي:

أولا: المديح الديني

يمكن أن نميز من المديح الديني الأنواع الآتية:

***مدح الله–عز وجل–:**

أكثرت الكتب الدينية من ذكر الله وبيان معجزاته في خلقه، والإعتراف بفضله على المخلوقات جميعا ، لذلك سار الشعراء منذ القديم على تقديسه وتعظيم قدرته، قال "حسان":

تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلها، أنت أعلى وأمجد

ثم رأينا"أبا العتاهية" يرى عظمة الخالق في كل شيء، فيقول:

وإنك معروف ولست بموصوف وإنك موجود ولست بمحدود

وقد كان كثير من الشعراء يشاركون بمثل هذا المديح حتى تطور هذا المديح فأصبح أقرب إلى النسيب عند شعراء الصوفية الذين أدخلوا الفلسفة والعقل في شعرهم[1].

(1)– منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

*** المديح النبوي:**

كان العرب قبل الإسلام يعيشون في أطراف الأرض على نظام غريب وأسلوب عجيب ، عشائر وقبائل تتصادم وتتناحر فيما بينها ، فلما ظهر النبي محمد-ﷺ-دعا إلى وحدة العرب واجتماعهم تحت دين واحد وراية واحدة لينقذهم من فوضى تشل حياتهم وحروب تستنزف قواهم ، فهزت تلك الدعوى الممالك العربية فوقفت بين مصدقة ومكذبة ووقف الشعراء منها موقف الدفاع أوالهجوم ، أما المدافعون عن النبي-ﷺ-فقد امتدحوا خصاله وشمائله وكان مديحهم أشبه بمديح الأجواد والكرماء من رؤساء القبائل ، ليس فيه ذكر للدين أو التقوى أو الأخلاق[1].

فهذا "كعب بن زهير "قد مدح النبي بقصيدة سارت على الزمان وقلدها الشعراء على مختلف العصور، يعتذر فيها من النبي ويطلب عفوه لما بدر منه ، يقول في مطلع القصيدة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم أثرها لم يجز مكبولـــــو

ما سعاد غداة البين إذ رحلت إلا أغن غضيض الطرف مكحول

إلى أن وصل في مديحه للرسول-ﷺ-إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول[2].

ثم انبرى "حسان بن ثابت"-شاعر الرسول-يدافع عن النبي وعن دعوته الجديدة حيث يقول:

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وظل الشعراء يسيرون في ركب "حسان بن ثابت" في مدحه للرسول ، حتى جاء القرن السابع للهجرة ، وطلع علينا "محمد بن سعد البوصيري" بقصيدة همزية شهيرة في مدح النبي والإشادة بخصاله ومحامده ، حيث بلغت أكثر من أربعمائة بيت، يقول في مطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبيـــــــاء يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وقد حال سنى منك دونهم وسنـــــاء

إنما مثلوا صفاتك للنـــــاس كما مثل النجوم المـــاء[1].

هذا ولم يخل القرن الماضي من شعراء كثر مدحوا النبي-ﷺ-، نذكر منهم على سبيل المثال "محمود سامي البارودي" ورائعته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة"، حيث قال في مطلعها:

يا رائد البرق يمم دارة العلـــم واحد الغمام إلى حي بذي سلمو

إن مررت على الروحاء فامر لها أخلاف سارية هتانة الديـــم

إلى أن يقول:

محمد خاتم الرسل الذي خضعت له البرية من عرب ومن عجـــــــم

سمير وحي، ومجنى حكمـــــة وند بسماحة، وقرى عاف، وري ظمو[2].

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

كذلك الشاعر "أحمد شوقي " في بائيته الرائعة:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

حتى يقول:

وكان بيانه للهدى سبلا وكانت خيله للحق غابـــا

وعلمنا بناء المجد حتى أخذنا أمرة الأرض اغتصابا

وقد انتشر هذا اللون من المديح بين شعراء كثيرين على مختلف العصور لن نستطيع هنا أن نوفيهم حقهم، ولكننا ذكرنا بعضهم على سبيل المثال لا الحصر[1].

*** مدح آل البيت:**

إذا كان الشعراء قد امتدحوا الرسول ونبوته-ﷺ-، فقد امتدحوا آله وأهل بيته يدفعهم الألم و الحرمان في كثير من الأحيان، وقد ألحوا على تصوير الفواجع التي ألمت بأهل البيت مثل مقتل الحسن والحسين-رضي الله عنهما- وإحياء تلك الذكرى في المآتم ، ولعل من أشهر من مدح آل البيت دون تعصب أو تجاوز حتى سميت قصائده بالهاشميات "الكميت بن زيد الأسدي"، حيث مدح أهل البيت وتناول الأمويين بالهجاء ورأى أنهم لا يصلحون لخلافة المسلمين [2]، يقول في إحدى قصائده:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني أذو الشيب يلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منـــزل زلم يتطربني بنان مخضـــب

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب إلى أن وصل إلى قوله:

بـأي كـتـاب أم بـأيـة سنـة ترى حبهم عارا عليّ وتحسب

فمالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

والفرزدق على تقربه من الأمويين مدح "زين العابدين بن الحسين بن عليّ "في حضرة هشام بن عبد الملك، حيث قال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحـــــرم

هذا ابن خير عباد الله كلهـــم هذا التقي النقي الطاهر العلم هذا

ابن فاطمة إن كنت جاهلـــــــه بجده أنبياء الله قـد ختمـــــوا[1].

ولما جاء القرن الرابع الهجري، واستولى الحمدانيون على الجزيرة وحلب، جعلوا من هذه الربوع منابر لمدح آل البيت والمطالبة بالثأر لهم، وقد تحول شعر هؤلاء إلى شعر سياسي في لغة عصرنا يطالب بالثأر من العباسيين وينتصر لآل البيت وخاصة عند الصنوبري الذي يعتبر من أطول شعراء بني حمدان نفسا في مدح آل البيت[2].

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

ثانيا: مديح الملوك والخلفاء

أعجب الشاعر العربي بالخلق الحميد والشجاعة الفائقة والكرم الواسع، فأثنى على الرجال المتفوقين والشجعان المشهورين، وامتدح المثل العليا التي رآها عندهم، ولكنه نظر إلى الملوك ومن يليهم منذ الجاهلية نظرة إكبار واحترام لما بين عيشه وعيشهم من فرق شاسع[1].

ففي الجاهلية قام "النابغة الذبياني" "بزيارة الملوك في الشام والعراق، ورأى مظاهر الترف والفخامة التي كان يعيش عليها هؤلاء الملوك، وقد كانت دهشة الشاعر كبيرة حين دخل إلى قصور الملوك فنسب بناءها إلى الجن، فهو لم يشاهد من قبل أعمدة "تدمر" الشامخة، لذلك جعل للنعمان فضلا على الناس جميعا وجعله بكرمه شبيها بنهر الفرات حين يفيض ماؤه، يقول:

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع

أو إلى تشبيهه بالشمس حين يقول:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقد أجمع النقاد على أن النابغة هو أول من احترف فن المديح [2].

وجاء "الأعشى "من بعده وسار على منوال النابغة، ولكنه انحط إلى مرتبة التكسب المشين، ثم تبعه "حسان بن ثابت" الذي مدح ملوك الغساسنة ووصف ترفهم ونعيمهم، حتى

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

جاء "الأخطل" شاعر بني أمية الذي أعاد صورة تدفق الفرات حين مدح كرم "عبد الملك بن مروان"، وقد تبعه في ذلك "الفرزدق"، حتى جاء "جرير" وأراد اللحاق برفيقيه فمدح بني أمية[1]، ومما قاله فيهم:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ولما جاء العصر العباسي تزاحم الشعراء على أبواب الخلفاء يرجون النوال والعطاء ولا سيما في مواسم الخلافة والملك والأعياد ومناسبات الحرب والسلم، فها هو "أبو العتاهية" يمدح "هارون الرشيد" بقوله:

إذا نكب الإسلام يوما بنكبة فهارون من بين البرية ناصره

ثم تبعه في ذلك "أبو تمام "فرأى في الخليفة مفتاح النصر والظفر، فديوانه حافل بالمديح والإشادة بالإنتصارات والفتوحات.

وأخيرا أطل على مسرح الشعر العربي "أبو الطيب المتنبي" فكان خير ممثل لشعر المديح، فانتقل من ملك إلى ملك ومن أمير إلى أمير [2].

وقد ظل شعر المديح المتكسب يتردد على الناس بعد العصور العباسية، ولكنه سجل إنحدارا بعد هذا العلو الشاهق، فنرى "عمارة التميمي" طلب من أحد الممدوحين قائلا:

فامنن عليّ بنصف الألف راتبة فقدر ودك لا يحويه مقدار

مقسومة في شهور العام تحمل لي أقساط في كل شهر وهي مدرار

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

فهو يطلب المبلغ ويرى قسمته على أشهر العام أقساطا يعيش بها شهريا، وهذا سقوط ظاهر في القول والعمل إلى مرتبة التسول[1].

وقد ظل شعراء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يقلدون الشعر القديم ويتخذون من ألفاظه ومعانيه ميدانا يرتعون فيه، فها هو "البارودي" يعيد للمديح أسلوبه القديم ووجهه الأصيل في مدح "الخديوي"، ثم يسير "حافظ إبراهيم" على منوال القدماء في نصرة الإسلام وخلفائه، وكذلك نرى "أحمد شوقي" الذي سما بمرتبة شعر المديح في هذا العصر إلى حد يعود لمدح ملوك مصر القدماء[2].

ثالثا: مديح الأمراء والوزراء والوجهاء

اتصل الشعراء بالأمراء والوزراء والأشراف أكثر من اتصالهم بالملوك والخلفاء، ذلك أنه لم يكن متيسرا للشاعر أن يدخل إلى أبواب الملوك والخلفاء قبل أن يحظى بلقاء من هم أدنى مرتبة منهم ، فقد مدح" النابغة الذبياني" في أول الأمر قائد "الحارث الغساني" ، كما مدح "زهير بن أبي سلمى" "هرم بن سنان" "والحارث بن عوف" حين أصلحا بين قبيلتي "عبس وذبيان" في حرب "داحس والغبراء"[3]، يقول في أحد ممدوحيه :

تـراه إذا مـا جئتـه متـهـلـلا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقد أعجبت هذه الصورة المتأخرين فكرروها في شعرهم.

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

(3)- المرجع نفسه.

أما "الأعشى" فقد مدح كثيرا وكان أول من سأل بشعره، فإن ممدوحه قوي معطاء يهب المال حين يشتد القحط في زمن الشتاء وتهزل المرضعات من الأنعام.

ثم يأتي عصر بني أمية ويكثر فيه العمال والولاة والوجهاء، فيتوزع الشعراء عليهم مادحين، وقد مدح "الفرزدق" كثيرا من هؤلاء من أمثال "الحجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبد الله القسري".

ولما جاء العصر العباسي توزعت المناصب وكثرت الأمارات والوزارات، فانصرف الشعراء إلى هؤلاء الوجهاء والسادة يمدحون طالبين قضاء الحاجة وبلوغ الأرب، وقد أصبح المديح حرفة ومهنة يبذل صاحبها ماء الوجه في سبيل المال[1].

لقد أسقط المديح الشعر عن عرشه وأسقط معه الشاعر قائله، بعد أن كان الشاعر صاحب المقام الرفيع والعرش العالي، حيث كانت القبائل تهنيء نفسها بولادة الشاعر وتقوم وتقعد لقوله.

ثم جاء "أبو تمام" وقدس البطولة في أروع صورها على الطريقة التقليدية، يقول في ممدوحه[2]:

كريم متى أمدحه، أمدحه والورى معي، ومتى ما لمته، لمته وحدي

أو يصف ممدوحه قائلا:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

وجاء من بعده "البحتري" فاقتفى آثار أستاذه "أبو تمام" وجعل من ممدوحيه مشاعل تضيء في الكرم فتطفيء الكواكب، ومثله "ابن الرومي" الذي غالى وأسرف في القول حتى جعلنا نتساءل: هل نؤمن بما يقوله هؤلاء الشعراء ؟؟؟ إلى أن جاء "المتنبي" فبلغ بهذه المغالاة درجة جعلنا نصدق معها أن هؤلاء الممدوحين كانوا دائما هم المنتصرين في الحروب ولا يعرفون للهزيمة مكانا[1].

وقد انتقلت تلك العدوى إلى القرن العشرين حتى رأينا "أحمد شوقي" يردد (وما الجيش إلا ربه حين ينسب)، فسار هو نفسه على خطة هؤلاء في وصفه الوزراء والقواد.

رابعا: مديح العلماء والأدباء

لقد تغنى الشعراء بشعرهم فصوروه منتقلا عبر كل لسان ، جديرا بالخلود بينما شعر غيرهم هو صدى لشعرهم، يقول المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني مغردا

وحين قال الشعراء الشعر في غيرهم من الأدباء والكتاب والشعراء والعلماء، أجادوا في مدحهم، فأثنوا على قوة البيان وروعة الأدب وفضيلة العلم، فقد مدح "بشار بن برد" "واصل بن عطاء"، وكان يلثغ بالراء، لكنه في خطبه يتخلص منها ببراعته، يقول فيه: [2]

فقام مرتجلا تغلي بداهته كمرجل القين لما حف باللهب

---

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

وجانب الراء لم يشعر بها أحد قبل التصفح والإغراق في الطلب.

وقال "أبو تمام" يمدح الكاتب والشاعر "محمد بن عبد الملك الزيات":

لك القلم العلى الذي بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغ تعليه شعاب الفكر وهي حوافل

أطاعته أطراف القنا وتقوضت ل نجواه تقويض الخيام الجحافل

وقال "المتنبي" في مدح "علي بن عامر الأنطاكي" وكان ضليعا في أصناف العلوم والنجوم والأدب:

دعاني إليك العلم والحلم والحجا وهذا الكلام النظم والنائل النثر

أما "الشريف الرضي" فقد مدح "الصاحب إسماعيل بن عباد "فراى قلمه أمضى من السيوف العوالي، يقول:

لك القلم الماضي الذي لو قرنته بجري العوالي كان أجرى وأجودا

ونرى أن هذا اللون من المديح قد زاد وانتشر في القرن التاسع عشر والقرن العشرين فنرى "حافظ إبراهيم" يمدح الإمام "محمد عبده" فالتف الناس من حوله كأنه "عمر بن الخطاب" أو "عليّ بن أبي طالب" ، كما مدح "شوقي" كثيرا من العلماء والأدباء[1].

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

خامسا: مديح الأوطان والبلدان

* مديح الأوطان:

أحب الإنسان الأرض التي عاش عليها سواء أكانت قاحلة أم خصبة، لأنها رافقت عهدا من عهود حياته، وعرفت شطرا من أيام عمره، فحن إليها وهو بعيد واطمأن إليها وهو قريب، وقد اشتهر العرب في هذا المديح منذ الجاهلية ومازالوا حتى اليوم، يقول الشاعر "أحمد بن يحي"–أحد شعراء العرب القدامى–في بلاده التي أحبها [1]:

أحب بلاد الله ما بين منعج إلى دار سلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها حل الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

وقد تبدلت نظرة الشاعر العربي إلى الوطن مع تقدم الأجيال، فإذا بـ"أبي تمام" يعبر عن حبه لوطنه بقوله:

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وقد عبر الشعراء الذين غادروا ديارهم عن شوقهم إلى تلك الديار وبكوا لبعدهم عنها كما فعل "شوقي"، حين يقول:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخل حسي

---

(1)– منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

والشعر الوطني كثير في الأدب العربي لا يمكن حصره، وإنما نشير إلى أن الوطن العربي قد مرت به هزات عنيفة على مر الأجيال، فقد غادر العرب الأندلس بما فيها من قصور بنوها وبما تمتاز به من مناخ، فبكوها بكاء لا ينقطع ورثوها في أشعارهم[1].

وقد نكب العرب بهجمات الترك والمغول فهجروا ديارهم ومدحوا أوطانهم مديحا اختلطت فيه المدامع بالأشواق والتنهدات.

* مديح البلدان:

تعلق الشعراء منذ القدم بحواضر ومدن وبلدان معينة فامتدحوها في شعرهم وسالت فيها عواطفهم حبا وإعجابا، فمالوا إلى "مكة والمدينة" وقالوا فيهما شعرا هو أقرب إلى الشعر الديني ، وقال الشعراء في مدينة "بغداد" شعرا كثيرا لأنها ظلت طويلا موطن الملك ومحط الأنظار، يقول فيها "ابن زريق":[2]

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها عندي وسكان بغداد هم الناس

وقيل الشعر الكثير في مدينة "حلب ودمشق و مصر" وغيرها من البلدان العربية، وقد اشتهر "الصنوبري" بمدح البلدان، فأشاد بحلب ووصفها في قصيدة طويلة، يقول فيها:

فاخري يا حلب المدن يزد جاهك جاها فلعمري إن تك المدن رخاخا كنت شاها

والشعراء المحدثون مدحوا البلدان، فأثنوا على ما رأوا فيها داخل الوطن وخارجه من جمال، قال "شوقي" مادحا بردي:

---

(1)-منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

(2)- المرجع نفسه.

جرى وصفق يلقانا بها برديكما تلقاك دون الخلد رضوان

ومدح كثير من شعرائنا مدنا في البلاد العربية "كالبصرة وبغداد"، كما مدح شعراء المهجر مولد عبقريتهم فعاجوا بالذكرى إلى أوطانهم وصاغوا في حنينهم إليها ذوب عاطفتهم ورقيق شعرهم[1].

(1)- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW ، (2017/02/20).

الفصل الثاني: الدراسة الفنية لمقطوعات ابن رشيق

المبحث الأول: بناء القصيدة عند ابن رشيق المسيلي

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب عند ابن رشيق المسيلي

المبحث الثالث: المعجم الشعري عند ابن رشيق المسيلي

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية عند ابن رشيق المسيلي

المبحث الأول: بناء القصيدة عند ابن رشيق المسيلي

يتخذ بناء القصيدة عند "ابن رشيق" (390هـ/مازر 463هـ)، قالبا خاصا، فقد اهتم به كثيرا؛ لأنه كان ينظر إلى القصيدة أو النص الشعري نظرة خاصة، تمثلت في أنها عبارة عن بنية كلية تتكون من أجزاء كل جزء يحتوي على لغة وبلاغة وتركيب ووزن، وقافية، كذلك أن كل جزء من هاته الأجزاء لا يستغني عن صنوه الآخر، وفي هذا الصدد يقول "الجرجاني": "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة، وإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستلهم إلى الإصغاء"[1].

لقد اتبع "ابن رشيق" كثير من الشعراء الذين عاصروه (المشارقة)، في نظم القصائد وبنائها حيث تكون القصيدة وحدة مرتبطة متكاملة متسقة أبياتها منسجمة فيما بينها، لتظهر بذلك نظرة الشاعر وتجربته الشعرية. حيث يقول "الجرجاني": "وإنما أثبت لك القصيدة بكمالها، ونسختها على هيئتها، لترى تناسب أبياتها وازدواجها، واستواء أطرافها واشتباهها وملائمة بعضها لبعض"[2].

أولا: المطلع

لقد اعتنى النقاد والقدامى والمحدثون بمطالع القصائد، عناية فائقة لأنهم رأوا بأن: "المطالع أوائل الأبيات"[3]؛ بمعنى أنهم يرون أن المطلع هو ما تبدأ به القصيدة.

كما يرون في ذلك أيضا أن تكون الألفاظ حسنة والمعاني شريفة، لكي تكون العبارات واضحة دالة على معنى واضح، "الناس موكلون بتفضيل جودة الإبتداء"[4].

---

(1)- الجرجاني (علي بن عبد الله): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح، محمد أبو الفضال إبراهيم، علي محمد اليحياوي المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (ط1)، 2006، ص48.

(2)- المصدر نفسه، ص31.

(3)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، والطباعة، (ط5)، 1401هـ/1981م، ج1، ص215.

(4)- المصدر نفسه ، ص216.

فالقصائد التي تتميز بوحدة الموضوع كمقطوعات شعر المدح التي بين أيدينا ل "ابن رشيق"، تستفتح بمطالع جيدة تتناسب مع المواضيع التي عبر عنها الشاعر. "مطلع أول بيت جودته أن يكون دالا على ما بعده" [1]. كذلك "حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح"[2].

لقد تميز معظم الشعراء الذين عاصروا "ابن رشيق"، بحرصهم الشديد على انتقاء وإجادة مطالع قصائدهم، باعتبارها أول ما يقرأ في النصوص الشعرية، وأول ما يسمعه المتلقي، حيث يقول "ابن رشيق" ينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة" [3].

لقد تميز مطلع قصائد "ابن رشيق" بالجودة والبهاء، مما جعله يرقق الأسماع ويلين القلوب؛ فتتهيأ نفسية المتلقي ويستمتع بما سيأتي من أبيات، ويتجلى هذا الشأن عنده في قصيدته الهمزية؛ حيث بدأها بذكر الفضل والفخر الكبير الذي يتميز به كل من "المعز بن باديس" وابنه الأمير، الذي ولّاه الامارة آنذاك، ومكانتهما المرموقة بين الأمراء، والتي تستحق أن ينظم الشعراء فيها قصائد شعرية.

حيث يقول:

عن مثل فظلك تنطق الشعـراء وبمثل فخرك تفخر الأمـــراء

وَأَرَى الثَّرى والمَاءَ حَوْلَكَ حُمَّلا مَا لا يَقُومُ لَهُ الثَّرَى والمَـــاءُ

لَمْ يَبْقَ مِنْ طُرَفِ الْعِراقِ وَغَيْرِهِ شَيْءٌ يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ رُوَاءُ

(1)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص216.

(2)- المصدر نفسه، ص217.

(3)- المصدر نفسه، ص 236،237.

حَتَّى كأَنَّ الشَّرْقَ أَعْمَلَ فكْرَهُ في أَنْ حَوَتْهُ يَمِينُكَ الْبَيْضاءُ[1].

إن المدح عند "ابن رشيق" كان نابعا من أعماق النفس الشاعرة، لأنها مصدر التعبير الشعري ومصدر الإبداع؛ ولأنه في طريقة تعبيره عن فضل وفخر "المعز ابن باديس وابنه الأمير" ومكانتهما الرفيعة، لم يجد سوى المدح قالبا يصب فيه تلك الأبيات الشعرية، وهذا الذي جعله صاحب حسن تخريج لأنه لطالما تميز بسعة الإطلاع وعمق الأحاسيس الجميلة التي تصور ذوقه الفني الرائع.

لقد قدم لنا "ابن رشيق" في مدحه لوحات فنية عديدة، حيث مدح "المعز بن باديس" وأشاد بذكر خصاله العرضية والجسمية؛ من جمال وحسن وتأدب ونسب ... الخ.

يقول:

ذُمَّتْ لعينكَ أَعينُ الغِـــــزلانِ قَمرٌ أَقرَّ لحسنِهِ القَمَـــــرانِ(*)

وَمَشَتْ ولا والله ما حِقْفُ الْنَّقـا مِمَّا أَرَتْكَ وَلا قَضيبُ البـــانِ

وَثَنُ المَلاحَةِ غَيْرَ أَنَّ دِيانَتـــي تَأبى عليَّ عبادةَ الأوثـــانِ

يا ابْنَ الأعِزَّةِ مِنْ أَكابِرِ حِمْيَـــرٍ(**) **وسلالةِ الأملاكِ منْ قحطانِ**(***) (2).

كما تحدث كذلك عن الكثير من الشمائل التي كان يتميز بها هذا الملك، فقد كان من أعظم الملوك آنذاك لأنه حقق لهم مجدا وانتصارات كبيرة.

---

(1)- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني): الديوان، جمعه ورتبه عبد الرحمان ياغي، دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص16.

(*) – القمران: الشمس والقمر

(**)- حمير: من القبائل العربية المعروفة في جنوب شبه جزيرة العرب، عاصمتها سبأ. (المرجع الشبكة العنكبوتية).

(***)- قحطان: قبيلة عربية كبيرة تشكلت من قبائل منحج وهي "جنب وسنحان ورفيدة" في العصر "الأموي" تنتشر في "السعودية" "والكويت" "وقطر" "والإمارات" والجزء الأكبر من القبيلة يتواجد في جنوب "السعودية". وجزء منهم في "نجد". (المرجع الشبكة العنكبوتية).

(2)- المصدر نفسه، ص202.

يقول:

كأنمـــا راياتـــــــه مشهورة يوم اقتحامه

أيد تشير إلى العد و بلسمه أو بانهزامه[1].

ويقول أيضا:

لَدْنُ الرِّماحِ لَما يَسْـقـــي أَسنتَـــها مِنْ مُهْجَةِ الْقَيْلِ أَو من ثَغْرَةِ البَطَلِ

لَوْ أَثْمَرَت مِنْ دَمِ الأَعداءِ سُمْرُ قَناً لأَوْرَقَتْ عِنْدَهُ سُمْـــــرُ الْقَنا الذُّبُل

إِذا تَوَجَّـهَ فـــي أُولـــى كَتـــائِبِـــهِ لَم تَفْرِقِ الْعَيْنُ بينَ السَّـهلِ والْجَبَلِ

فَالْجَيْشُ يَنْفُضُ حَوْلَيـــهِ أَســنَّتَـــهُ نَفْضَ الْعُقابِ جَناحَيْهِ مِنَ البَلَـــــلِ

يَأْتي الأُمُورَ على رِفْقٍ وفي دَعَـــةٍ عَجْلانَ كالْفَلَكِ الدَّوَّارِ فـــــــي مَهَلِ [2].

وقد لاحظنا على معظم مطالع قصائد "ابن رشيق"، اتباع طريقة الإيضاح في ذكر الممدوح بالفضل في صناعته على الحقيقة، فقد تميز ذلك بذكره لأمور واقعية: كالعدل والشجاعة وتحقيق انتصارات كبيرة على العدو، كما نلاحظ أيضا أن معظم موضوعات شعر القرن الخامس كانت غنية بالسمات الدينية المختلفة لتطلبها لذلك.

ثانيا: حسن التخلص

يعتبر حسن التخلص ممرا أو طريقا يسلكه الشاعر الحذق في طريقة أو كيفية الربط بين مقدمته الشعرية وموضوعه الأساسي، حيث ارتأينا بأن شعراء القرن الخامس قد التزموا بالبناء القديم للقصيدة (تعدد الموضوعات)، فحسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن

(1)- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص176، 177.

(2)- المصدر نفسه، ص152،153.

من معنى إلى معنى آخر، بشرط أن يكون هذا المعنى خاصا بالشخص الذي يمدحه الشاعر، ويكون ذلك في طريقة سلسلة للغاية.

رأى معظم النقاد والعرب الدارسون والمهتمون ببناء القصيدة الشعرية، بأن يجتهد الشاعر في حسن تخلصه ويسبقه بمطلع أو بمقدمة ثم يمر به مباشرة إلى الغرض المقصود.

لقد تميز "ابن رشيق" بحسن تخلصه، فلم يترك أية فواصل بين كل من المقدمة وحسن التخلص.

لقد استطاع "ابن رشيق" وبكل لطف أن يعبر من مقدمته وبسهولة وإجادة فائقة، فكان حسن تخلصه ألطف، كما قال "حازم القرطاجني"، حين قال في حسن التخلص "يجب أن يكون لطيفا"[1].

وذلك في أبياته الشعرية التي ذكر فيها الهدية المميزة (الزرافة) التي تلقاها الملك في يوم تهنئته بابنه الذي تولى الإمارة، حيث وصفها بشتى محاسنها وصفاتها الجميلة.

حيث يقول:

وَأَتَتْكَ مِنْ كَسْبِ المُلوكِ زَرافَـــــةٌ شَتَّى الصِّفاتِ لِكَوْنِها أَنْبــاءُ

جَمَعَتْ مَحاسِنَ ما حَكَتْ فَتَنافَسَتْ فِي خَلْقِها وتَنَافَتِ الأَعْضاءُ

تَحْتَثها بَيْنَ الْحَوَانِي مِشْيَـــــــةٌ بادٍ عَلَيْها الْكِبْرُ وَالْغُلَـــوَاءُ

وَتَمُدُّ جِيداً في الْهَواءِ يَزِينُهـــــا فَكَأَنَّهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ لِـــــوَاءُ

حُطَّتْ مَآخِرُها وَأَشْرَفَ صَدْرُهـــا حَتَّى كَأَنَّ وُقُوفَها إِقْعـــــاءُ[2].

(1)- القرطاجني (أبو الحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار العرب الإسلامي بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص306.

(2)- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص17.

ثانيا: الخاتمة

بعد كل من المطلع وحسن التخلص يقف الشاعر عند خاتمة القصيدة الشعرية، التي لقيت من الإهتمام والرعاية حظها كالمطلع تماما، حيث يقول "ابن رشيق" في ذلك "الخروج تخلص وتوسل"[1]. أي أن الخاتمة هي الإنتهاء تماما، كذلك يقول "خاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتمها كما قال –ﷺ–" [2]. بمعنى أن الخاتمة الجيدة تبرهن على العمل الجيد، وكل خاتمة تتميز بروعة تدل على نباهة الشاعر وبراعته.

يقول "ابن رشيق": "الإنتهاء هو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكما، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، إذا كان أول الشعر مفتاحا له، وجب أن يكون الآخر قفلا عليه"[3]، بمعنى أن الخاتمة هي ركيزة وأساس القصيدة الشعرية، ويجب أن تكون جميلة معبرة لأنها آخر ما يقرأ أو يسمع، كذلك أن تكون متماشية مع كل الأبيات التي قبلها أي مع الغرض المقصود. وفي هذا الشأن يقول "حازم القرطاجي": "يكون الإختتام في كل غرض لما يناسبه سارا في المديح والتهاني وحزينا في الرثاء والتعازي"[4].

(1)– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص236.

(2)– المصدر نفسه، ص 217.

(3)– المصدر نفسه، ص239.

(4)– حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص306.

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب عند ابن رشيق المسيلي

أولا: اللغة

لقد حظيت اللغة باهتمام بالغ من طرف الدارسين والمشتغلين عليها قديما وحديثا حيث تعتبر العنصر الرئيسي في تكوين القصائد الشعرية، فقد استعملها الشعراء في طريقة التعبير والبوح بكوامن الأحاسيس والإنفعالات. كذلك عن كل ما يختلج النفس والخاطر من أفكار ومقاصد. فقد عرفها صاحب "الخصائص"؛ "ابن جنّي" وقال: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

كذلك تعتبر اللغة عنصرا رئيسيا في أي عمل إبداعي، لأنها غنية بما تحتويه من لفظ ومعنى وتركيب وأسلوب جيد، يساهم مساهمة كبيرة في تكوين العملية الإبداعية لدى المبدع فالأديب لا يمكنه الإستغناء عن اللغة سواء (في شعره أو في نثره) نظرا لقيمتها الكبيرة التي تعطيه إنتاج أدبي مميز.

ولقد عرفت اللغة أيضا أنها: "أعظم إنجاز بشري على ظهر الأرض"[2] وبأنها: "طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إراديا"[3]. بمعنى أن الإنسان في حياته اليومية كان محتاجا إلى وسيلة للتواصل وصب كل ما يدور في خلده وفكره، ولم يجد سوى ابتكار اللغة التي تعد الحل المثالي بما تحمله من غايات جمالية تمكنه من التعبير والتواصل والإبداع.

لقد قدم كل من النقاد القدامى والمحدثين نظرتهم حول لغة الشعر، فذهب صاحب "العمدة"؛ "ابن رشيق" إلى أن: "للشعراء ألفاظا معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن

---

(1)- ابن جني: الخصائص، تح، محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص33.

(2)- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط3)، 1417هـ /1997م، ج1، ص03.

(3)- جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، (ط1)، (د.ت)، ص06.

يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعينها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها"[1].

وتتغير اللغة الشعرية من حالة إلى أخرى ومن غرض إلى آخر، لأنها تستمد الكلمات والتعابير من معاجم التقلبات النفسية التي تتنوع وتتغير بتغير حالة المبدع وزمانه ومكانه وتجربته التي يعيشها.

في حين يرى "العقاد" أن اللغة الشعرية: "تبنى على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء"[2].

فاللغة إذن هي: "نتيجة عمل عقلي قامت به الأجيال المتوالية"[3]. وهي في حالة تغير وتطور مستمر على مر الأزمان وباختلاف الأماكن. ولولاها لما قامت حضارات إنسانية ولا نشأت مدن ومجتمعات أيضا لأن علاقتها بالمجتمع علاقة وطيدة، فهي تعيش داخله، وتؤثر فيه بالألفاظ وسحر الكلمات إلى أن تصل إلى النفس البشرية بشتى ألوان العواطف الوجدانية.

لقد تميز شعراء القرن الخامس الهجري بفرض سيطرتهم على اللغة الشعرية القديمة فأحسنوا. وبكل جدارة وتميز استطاعوا أن يوظفوها أحسن توظيف لخدمتهم والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر التي تختلج أنفسهم إزاء تجارب صادفتهم في مشوارهم الشعري.

(1)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص128.

(2)- عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1990، ص08.

(3)- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص03.

1- خصائص اللغة عند ابن رشيق المسيلي

أ- الطابع التقليدي:

لقد لاحظنا من خلال دراستنا لبناء القصيدة عند "ابن رشيق"؛ (مطلع، حسن تخلص خاتمة) أنه كان متبعا مقلدا لطريقة ومنهج القدماء في إختياره للغته الشعرية واستخداماته لها حيث يعد شاعرنا "ابن رشيق" ناقدا فذا، وعالما بكل تلك الأمور التي تتعلق بالشعر والشعراء القدامى.

لقد تميز شعر "ابن رشيق" بغناه بالألفاظ السهلة والبسيطة التي ساهمت كثيرا في بساطة ووضوح العبارات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن "ابن رشيق" يجتنب كل لفظة غريبة أو أعجمية في بابها، محاولا التقيد بما يستعمل فقط. وهذا ما يبرهن على أنه من الشعراء المحافظين على اللغة العربية وعراقتها والتي لطالما حملت في طياتها تعاليم دينية وتقاليد إسلامية، خاصة وأن الشعر في ذلك الوقت (فترة ما بين القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة)، كان قد وصل أوجه من النضج والإكتمال، وذلك لتطور الأغراض الشعرية وظهور أخرى جديدة على الساحة الشعرية.

ب- السهولة والبساطة:

قال صاحب "نقد الشعر"؛ "قدامة بن جعفر": "أن يكون اللفظ سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة من الخلو من البشاعة"[1].

لقد استعمل "ابن رشيق" اللغة العربية الفصحى في نصوصه الشعرية على غرض المدح، دون إدخال لفظ غريب أو معجم، وذلك لأنه من النقاد الذين يحرصون على أهمية

(1)- قدامة بن جعفر: نقد الشعر. تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللعلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) ص74.

الألفاظ نظرا لقيمتها في نظم الشعر، كما يحرص أيضا على أن تكون الألفاظ خادمة للمعنى الذي أريدت من أجله.

حيث يقول: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وإرتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح" (1).

لقد مضى "ابن رشيق" في أبياته الشعرية مادحا ذاكرا تلك الخصال التي تميز بها ممدوحه، مندمجا متأثرا معبرا بلغته اليسيرة، لذلك الشأن قام باختيار ألفاظ منسجمة مع معانيها تماما ليكون شاعرا جيدا في صناعته.

لقد استعمل "ابن رشيق" بعض الألفاظ التي تدل على إيمانه، وتأثره بثقافته الإسلامية في بعض المواضع، حيث يقول في مدح شيخه "أبو الحسن بن أبي الرجال":

أتى بعد أهل العـــــلى كجملة شيء شرح (2).

ويقول أيضا:

قد طال حتى خلتـــــه من كل ناحية وســـط

وتكررت فيه المنـــــا زل منه لا مني الغلط (3).

فنجد مثلا لفظة (أهل العلى) التي توحي بالمكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها المشايخ والعلماء؛ أصحاب العقول النيرة المتفتحة على العلم بمختلف أنواعه الديني والأدبي... حيث كان "بن أبي الرجال" يأخذ العلم عنهم، ويعطي لطلبته أمثال "ابن رشيق" وغيره.

(1)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص124.

(2)- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص06.

(3)- المصدر نفسه، ص100.

كذلك في مدحه لجزيرة "صقلية" ومن كان بها من مشايخ وعلماء أجلاء، والتي أقام بها شاعرنا "ابن رشيق" إلى غاية وفاته.

حيث يقول:

أخت العدينة في اسم لا يشاركها فيه سـواها من البلدان والتمـس

وعـظّم الله معى لفظها قسـمًا قلّد إذا شئت أهل العلم أو فقـس[1].

فنجد مثلا لفظة (عظم الله، قسما، أهل العلم)، وكلها ألفاظ تنم عن مكانة العظيمة التي كانت تحظى بها تلك المدينة وفضلها على كل من أقام بها؛ لأن بها من أهل العلم الكثير الكثير.

كذلك في مدحه للملك "المعز بن باديس"، حيث يقول":

ذُمَّتْ لعينكَ أَعينُ الغِـزلانِ قَمرٌ أَقرَّ لحسنِهِ القَمَـرانِ

وَمَشَتْ ولا والله ما حِقْفُ الْنَّقا مِمَّا أَرَتْكَ وَلا قَضيبُ البانِ

وَثَنُ الْمَلاحَةِ غَيْرَ أَنَّ دِيانَتـي تَأبى عليَّ عبادةَ الأوثانِ[2].

ونجد هنا أيضا ألفاظا مثل: (القمران، الله، وثن، ديانتي، عبادة الأوثان)، فهي ألفاظ تدل على ما تحمله من معان قد ناسبت موضعها، خاصة وأن مدينة "القيروان" آنذاك كانت تزخر بملوك أتقياء يخشون الله.

حيث مدح "ابن رشيق" "المعز ين باديس"، في عدة مواضع أخرى، موظفا لذلك ألفاظا قديمة قد تبدوا لنا غريبة بعض الشيء، كما استخدم أيضا ألفاظا من المعاجم التراثية القديمة.

([1])- ابن رشيق القيرواني، الديوان، 94،95.

([2])- المصدر نفسه، ص202، 203.

يقول ابن رشيق:

يا ابن الأعزة من أكابر حميـــــر وسلالـــة الأملاك من قحطان

من كل أبلج آمر بلسانـــــــــــه يضع السيوف مواضع التيجان[1].

ويقول كذلك:

لدن الرماح لما يسقي أسنتـــــها من مهجة القيل أو من ثغرة البطل

لو أثمرت من دم الأعداء سمرقنـا لأورقت عنده سمر القنا الذبـــــل[2].

كألفاظ (حمير، قحطان، أبلخ، مهجة القيل، ثغرة البطل، سمرالقنا)، وتعابير الشاعر هنا جاءت عربية مشكلة عبارات بسيطة غير معقدة لتعبر بذلك عن ما يختلج نفسه.

حيث يقول:

إذا توجه في أولى كتائبـــــــــه لم تفرق العين بين السهل والجبل

فالجيش ينفض حوليه أسنتـــــه نفض العقاب جناحيه من البـــــلل

يأتي الأمور على رفق وفي دعة عجلان كالفلك الدوار في مهـــــــل[3].

والعبارات مثل: (توجه في أولى كتائبه، بين السهل والجبل، الجيش ينفض حوليه أسنته يأتي الأمور على رفق وفي دعة...). فهدف الشاعر هنا ليس توضيح القدرة على استعمال اللغة ولكنه حاول الإتيان بمعجم الألفاظ المستعملة من قبل لتكون لغته واضحة.

لقد تقيد الشاعر "ابن رشيق" عموما بالألفاظ العربية والمفردات البسيطة التي تعبر

([1])- المصدر السابق، ص202،203.

([2])- المصدر نفسه، ص 152،153.

([3])-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بصدق، حيث استخدمها في أمكنتها المناسبة؛ فهي التي توحي بحالة الشاعر وعواطفه ووجدانه.

ثانيا: الأسلوب

الأسلوب لفظة تعني: الطريقة أو الكيفية، كما تعني أيضا: طريقة الكتابة والتأليف والنظم التي يسير وفقها كل أديب، وهذا كله يصاغ ضمن العملية الإبداعية، وقد جاء في "لسان العرب": " ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد في أسلوب، والأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب. يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على الأساليب، والأسلوب:

الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه"[1].

فالأسلوب إذن هو صورة فنية أدبية؛ أي أنه يجمع بين كل من المبدع والمتلقي، لأنه حتما سيتكون من كل ما هو فصيح وبليغ ومعبر.

يعتبر الأسلوب خير معبر عن شخصية المبدع؛ لأنه يصب فيه كل المعاني التي تحملها تلك الشخصية ويتلقاها القارئ حينئذ، ليفهم كل ما تحمله من تعابير تخص المبدع وذلك لأن الأديب يتفنن في فن الكلام ليكون أي جنس من الأجناس الأدبية المألوفة؛ كأن يكون: (قصصا أو روايات، أو مقامات أو رسائل ...إلخ).

كذلك يعتبر الأسلوب طريقة تفكير ثم عملية تصوير وتعبير، في حين يعتبر الأسلوب الأدبي: "طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية"[2]. بمعنى أن الأسلوب هو: "الأديب أو الرجل"[3].

([1])- أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (ط12)، 2003م، ج1، ص41.

([2])- المرجع نفسه، ص44.

([3])- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، (ط1)، 1994م، ص114.

أما بالنسبة للأسلوب في نظم القصائد الشعرية فيعتمد عل قوة الإدراك التي يمتلكها الشعراء، والتي تتفاوت من شاعر إلى آخر.

إضافة إلى الفطنة التي تميز شعورهم وتذوقهم الجيد للغة وتراكيبها، كما نلاحظ أن الأساليب الشعرية متصلة تمام الصلة بالحالة الشعورية التي يمتلكها الشاعر، ولكل شاعر تجربته الشعورية التي يعبر عنها في طريقة إبداعية مميزة ليبرز بذلك أسلوبه الخاص به.

وبذلك كان أسلوب شاعرنا "ابن رشيق"، أسلوبا بسيطا بليغا جميلا، في غنا عن توظيف الألفاظ والتراكيب الصعبة في نظمه، إضافة إلى بعده عن التكلف والصنعة تماما.

وعند دراستنا لمقطوعات المدح عنده والتمعن في أسلوب نظمه من خلال بناء القصائد عنده نقف على بعض المميزات كالصياغة المباشرة للكلام، وقد تبين ذلك في مقطوعاته الشعرية.

ومن مظاهر الصياغة عند "ابن رشيق" طريقته التي يعبر بها في تراكيبه اللغوية وجمله ومفرداته التي جاءت منتقاة تبعا لذوقه وموهبته العقلية، حيث لاحظنا أن ابياته الشعرية جاءت مختارة مرتبطة ببعضها مؤدية لمعنى وظيفته البلاغة والبيان قصد الإيضاح والتأثير.

المبحث الثالث: المعجم الشعري عند ابن رشيق المسيلي

تعد الكلمات من العناصر الأساسية في تكوين الجمل، ولذلك اعتبرت من أساسيات بناء النصوص الشعرية أيضا، حيث لطالما اعتنى النقاد والكتاب بالكلمة كجزء مهم، وبالكلمة الأدبية كجزء أهم بكثير، فقد حرص الكثير منهم على حد سواء بالسعي وراء اختيار وانتقاء اللفظ المناسب أو المنطبق تمام مع معناه.

فاللفظ هو القاعدة المهمة في بناء القصائد الشعرية وفي هذا يقول "ابن طباطبا": "فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة، أنيقة الألفاظ، حكيمة المعاني، عجيبة التأليف، إذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها"[1].

أما "القلقشندي" فيقول: "ولما كانت الألفاظ عنوان المعاني وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس، وأذهب بها في الدلالة على القصد"[2]. لأن اللفظ هو الوحيد الذي يترك أثرا عميقا لدى المستقبل، ولهذا يجب على الشاعر أن يكون منتبها للألفاظ التي تناسب أغراضه، ثم يحاول أن يجعل اتساقا وانسجاما بين كل ألفاظه لتؤدي بذلك العديد من المعاني الجيدة. يقول "ابن رشيق": "اللفظ أغلى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبا، والمعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف"[3].

فالشاعر المتمكن هو الذي يستخرج أو ينتج من اللفظة الواحدة العديد من المعاني ونلاحظ أن "ابن رشيق" قد استطاع أن يستخدم الكثير من الحقول الدلالية المختلفة في مقطوعاته الشعرية التي كان غرضها المدح. كما لاحظنا أيضا أنه كان شديد الإهتمام باللفظ المعبر الذي يحمل العديد من الدلالات الحسية، والمعاني الغثة والغنية والمتداخلة التي تعبر عن حالته الشعورية وتأكد مقصد من المقاصد. ومن الألفاظ نذكر:

1- ألفاظ الطبيعة:

لقد استعمل الشاعر "ابن رشيق" ألفاظا ذات دلالة طبيعية؛ وهذا عائد إلى تأثر شخصيته بالطبيعة الأندلسية، ومن هاته الألفاظ: (الثرى، الماء، الثمر، الورق، سمرالقنا

([1])- ابن طباطبا (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا): عيار الشعر، تح، عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص11.

([2])- القلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1913م، ج2، ص184.

([3])- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص127.

السهل، الجبل، الفلك، الندى، السيول، البحر، قمر، قمران). فوجود هاته الألفاظ الطبيعية في مقطوعاته الشعرية يدل على حسه الداخلي الذي يخرجه في شعره بأساليب تخدم موضوعه الذي يرمي إليه.

حيث يقول:

وَأَرَى الثَّرى والمَاءَ حَوْلَكَ حُمَّلا مَا لا يَقُومُ لَهُ الثَّرى والمَاءُ[1].

ويقول أيضا:

وإذا توجه في أولى كتائبه لم تفرق العين بين السهل والجبل [2].

ويقول أيضا:

ذمت لعينك أعين الغزلان قمر أقر لحسنه القمران[3].

2- الألفاظ الدينية:

لقد استعمل الشاعر "ابن رشيق" ألفاظا ذات دلالة دينية تنتمي إلى معجم قرآني؛ وهذا عائد إلى ثراء شخصيته بالثقافة الدينية الإسلامية.

حيث يقول:

أتى بعد أهل العلى كجملة شيء شرح[4].

([1])- ابن رشيق: الديوان، ص16.

([2])- المصدر نفسه، ص152،153.

([3])- المصدر نفسه، ص202.

([4])- المصدر نفسه، ص06.

ويقول أيضا:

وعظَّم اللهُ معنَى لفظها قسماً قَلِّد إذا شئتَ أهل العلم أو فَقِس[1].

ويقول كذلك:

ومشت ولا والله ما حقف النقا مما أرتك ولا قضيب البان

وثن الملاحة غير أن ديانتـــي تأبى علي عبادة الأوثان[2].

فالألفاظ: (أهل العلى، الله، القسم، أهل العلم، الله، وثن، ديانة، عبادة، أوثان). كلها ألفاظ دينية وقرآنية، تدل على النزعة الدينية الإسلامية التي يمتلكها الشاعر "ابن رشيق".

لقد أجاد "ابن رشيق" في استعمال اللفظ الديني، وهذا راجع لشخصيته المتدينة بالدين الإسلامي كما ذكرنا سابقا.

3- ألفاظ الحيوان:

لقد لاحظنا أيضا أن "ابن رشيق"، قد قام بتوظيف أسماء بعض الحيوانات. حيث يقول:

فالجيش ينفض حوليه أسنته نفض العقاب جناحيها من البلل[3].

ويقول أيضا:

ذمت لعينك أعين الغزلان قمر أقر لحسنه القمران[4].

([1])- ابن رشيق: الديوان ، ص95.

([2])- المصدر نفسه، ص 202،203.

([3])- المصدر نفسه، ص152،153.

([4])- المصدر نفسه، ص202.

فألفاظا: (العقاب، الغزلان)، ألفاظ من معجم الحيوان. ونلاحظ أن "ابن رشيق" استعملها للدلالة على صورته الشعرية، ولتوضيح المعنى وتقريبه أكثر من ذهن القارئ وفهمه، كذلك قصد التأثير في نفسيته.

4- ألفاظ المدن:

لقد وظف "ابن رشيق" ألفاظ بعض المدن. وذلك في قوله:

لم يبق من طرف العراق وغيره شيء يروق العين منه رواء

حتى كأن الشرق أعمل فكـــره في أن حوته يمينك البيضاء[1].

ويقول أيضا:

اخت العدنية في اسم لا يشاركها فيه سواها من البلدان والتمس[2].

ويقول كذلك:

وحللت من علياء صبرة موضعا أكرم من موضع ومكان[3].

فالألفاظ: (العراق، الشرق، العدنية، البلدان، علياء، صبرة)؛ كلها ألفاظ مدن وأماكن كان لابد للشاعر من ذكرها لأنها كانت تحت سلطة ممدوحة، أو أقام بها، كما أن لها معنا جميل وخاص لدى الشاعر لأنه كان يحيا بها في يوم من الأيام.

لقد لاحظنا بأن مقطوعات "ابن رشيق"، جاءت متعددة ومختلفة الصور والألفاظ والمعاجم الشعرية، مع وجود الكثير من المعاني كذلك. وهذا ما كان يسعى إليه ويتأثر به معظم شعراء القرن الخامس للهجرة.

([1])- ابن رشيق: الديوان ، ص16.

([2])- المصدر نفسه، ص94.

([3])- المصدر نفسه، ص203.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية عند ابن رشيق المسيلي

لقد كانت غاية النقاد بالموسيقى الشعرية غاية كبيرة، لأنها من أساسيات بناء النصوص الشعرية، فقد كانت محل اعتمادهم في الفصل بين ما هو شعر وما هو نثر، حيث يقول الناقد "ابن طباطبا" في ذلك: "الشعر –أسعدك الله– كلام منظوم بائن عن المنثور"[1].

وفي هذا دلالة على أن للشعر قواعد يبنى عليها ليكون على خلاف الكلام المنثور ومن بين هاته القواعد العروض الذي يبنى عليه الشعر، حيث يقول "ابن جني": "اعلم أن العروض ميزان شعر العرب وبه يعرف صحيحه من مكسوره، فما وافق أشعار العرب في عدة الحروف الساكن والمتحرك يسمى شعرا وما خالفه فيما ذكرناه فليس شعرا"[2].

لقد كانت علاقة الشعر بالموسيقى علاقة تكاملية، وذلك لأن الشعر أول ما ظهر ظهر شعرا غنائيا، أي أنه مرتبط بالغناء والموسيقى كذلك، كما تعتبر الموسيقى شيئا أساسيا بالنسبة للشعر حيث تميزه عن الكلام المنثور، لأنها التركيبة الايقاعية المنتظمة التي ترفع من شأنه وتجعله مهما.

تعتبر الموسيقى كذلك إضافة إلى عناصر فنية أخرى من أساسيات النص الشعري حيث يقول "ابن رشيق": "النص الشعري مكون من أربعة أشياء وهي اللفظ، والوزن، والمعنى والقافية"[3].

فالنص الشعري يتكون من أبيات شعرية متصلة الوزن والقافية في طريقة ممنهجة بحيث تنتظم الأنغام والأركان فيها انتظاما دقيقا. لأنها عبارة عن إيقاع موسيقي يتكرر في شكل وقفات وقوافي، كما تتميز موسيقى الشعر العربي بانقسامها إلى قسمين:

([1])– ابن طباطبا: عيار الشعر، ص05.

([2])– ابن جني:(أبو الفتح عثمان الموصلي): العروض، تح، أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، (ط1)، 1407هـ / 1987م، ج1، ص55.

([3])– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص77.

أول قسم: الموسيقى الخارجية

"هي الموسيقى المتأتية من نظام الوزن العروضي والقوافي، الذي يشكل قواعد عامة يخضع لها جميع الشعراء في نظم قصائدهم"[1].

ثاني قسم: الموسيقى الداخلية

"النظام الموسيقى الخاص الذي يبتكره الشاعر ويتخيره ليناسب تجربته الخاصة"[2].

ويوظف الشاعر الموسيقى لأنها تضفي على شعره القيمة المعتبرة والجمال المعبر فيكون بذلك شعرا مصقولا مهذبا، ذو معان مؤثرة في نفسية المتلقي.

أولا: الموسيقى الخارجية

تعتبر الموسيقى الخارجية، أهم شيء تتميز به القصائد الشعرية، لأنها من أول الأشياء التي ينتبه إليها المتلقي. وذلك بفضل كل من النغم والايقاع الذي يجعل النفس تميل إليه، وتظم الموسيقى الخارجية كلا من الأوزان والتفعيلات والقوافي.

1- الوزن

يعتبر الوزن من أبرز العناصر التي تساهم في بناء القصيدة الشعرية، فهو عبارة عن نغم موسيقي من أول القصيدة إلى آخرها. كما يسمى أيضا: البحر الشعري، وذلك لأن الشعراء باستطاعتهم أن ينظموا على وزن واحد العديد من القصائد الشعرية.

([1])- إيمان محمد أمين كيلاني: بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1) 2008م، ص259.

([2])- المرجع نفسه، ص278.

حيث عرفه "ابن رشيق" بقوله: "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية"[1].

لقد ذكر العديد من النقاد القدامى أهمية الوزن وقيمته المعتبرة في بناء القصائد الشعرية، لأنه من العناصر التي تعبر عن التجربة الشعرية التي يصبها الشاعر في شعره من خلال نغمه وحركاته وسكناته.

ولذلك نقول: أن الوزن عبارة عن تفعيلات عروضية مجتمعة مع بعضها البعض ومتتابعة من مطلع القصيدة إلى خاتمتها المقفاة لأنه أهم عنصر يميز موسيقى الشعر.

ولقد لاحظنا من خلال دراستنا لمقطوعات "ابن رشيق" الشعرية أنه من الشعراء المحافظين على البناء الموسيقي القديم للقصيدة الشعرية ولم يأت بشيء جديد في بنائها الموسيقي، كما لم يكن مختلفا عن الشيء المعتاد في شكلها، حيث سلك مسلك الشعراء القدامى أيضا في محافظته على الأوزان الخليلية المألوفة.

وهي الخمسة عشر وزنا إضافة إلى الوزن السادس عشر الذي أضافه "الأخفش" كذلك على قافية محددة تكون من أول أبيات القصيدة إلى آخر أبياتها.

ولذلك قيل بأن: "القصيدة العربية في الشعر الملتزم تعتمد من جهة نظمها على أصلين هما: وحدة الوزن، ووحدة القافية"[2].

ولقد قام "ابن رشيق" بنظم مقطوعاته الشعرية على بحر الكامل وبحر الطويل، وهما بحران صافيان؛ حيث يكون بحر الكامل موحد التفعيلة بمعنى: أن نوع هذه التفعيلة هو الذي يحدد نغمها، ويكون عبارة عن تفعيلة واحدة متكررة مرات متساوية، في كل من الشطر الأول والشطر الثاني من البيت الشعري.

([1])- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص134.

([2])- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص22.

إضافة إلى الميزان الشعري الذي تكون تفعيلته كما يلي: ""متفاعلن" تتكرر ثلاث مرات في كل شطر"[1]. ويعتبر بحر الكامل من أتم البحور لأنه بحر غني بالتفعيلات ومفتاحه:

"كمل الجمال في البحور الكامل مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ "[2].

ولقد كان معظم الشعر العربي القديم ينظم على البحر الكامل.

كما قام "ابن رشيق" أيضا بنظم بعض المقطوعات على بحر الطويل الذي يعتبر بحرا تاما. كذلك بتفعيلاته.

ومفتاحه:

"طويل له دون البحور فضائل فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِلُنْ "[3].

أما بالنسبة إلى إيقاع هاته المقطوعات الشعرية.

فقد جاء كما يلي:

عَنْ مِثْلِ فَضْلِكَ تَنْطِقُ الشُّعَرُاءُ وَبِمِثْلِ فَخْرِكَ تَفْخَرُ الأُمَرَاءُ [4].

عن مثل فضلك تنطق ششعراءو وبمثل فخرك تفخر لأمراءو

0/0/0///0//0///0//0/ 0/0///0//0///0//0///

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ

(1)- فوزي سعد عيسى: العروض العربي، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.ت)، ص68.

(2)- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، ص132.

(3)- المرجع نفسه، ص131.

(4)- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص16.

يَعِيْبُونَ بَلْقِيسِيَّةً أَنْ رَأَوْ بِـــــهَا كَمَا قَدْ رَأَى مِنْ تِلْكَ مَنْ نصَبَ الصَّرْحَا[1].

يعيبون بلقيسييتن أن رأو بها كما قد رأى من تلك من نصب صصرحا

0//0//0/0//0/0/0//0/0// 0/0/0///0//0/0/0//0/0//

فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُ مفَاعِيلُنْ

.....

أَتَى بَعْدَ أَهْلِ اَلْعُلَى كَجُملَةِ شَيْءٍ شُرِحْ[2].

أتى بعد أهل لعلى كجملة شيئن شرح

0//0/0//0/0/ 0//0/0///0//

فَعُولُنْ مفَاعِيلُ فَعُولُ مفَاعِيلُ

.....

أُخْتُ العُدَيْنَةِ فِيْ اِسْمٍ لَا يَشَارِكُهَا فِيْهِ سِوَاهَا مِنْ البُلْدَانِ والتَمَسِ [3].

أخت لعدينة في اسمن لا يشاركها فيه سواها من لبلدان ولتمسي

0///0//0/0/0///0//0/0/ 0///0//0/0/0//0/0///0/

مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلْ مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَا مُتْفَعِلُنْ متْفَعِلْ مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَا

([1])- ابن رشيق: الديوان ، ص54.

([2])- المصدر نفسه، ص06.

([3])- المصدر نفسه، ص94.

قَدْ طَالَ حَتَى خِلْتُـــهُ مِنْ كُلِ نَاحِيةٍ وَسَـــطْ[1].

قد طال حتتى خلتهو من كلل ناحيتن وسط

0//0/0/0//0/0/ 0//0///0//0/0/

مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ

.....

لَدُنُ الرِّمَاحِ لِمَا يَسْقِيَ أَسِنَّتَهَا مِنْ مُهْجَةِ القَيْلِ أَوْ مِنْ ثَغْرَةِ البَطَلِ[2].

لدن ررماح لما يسقي أسننتها من مهجة لقيل أو من ثغرة لبطلي

0///0//0/0/0//0/0//0/ 0///0//0/0/0//0/0//0/

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ مُتْفَعِل مُتَفَا مُتْفَاعِلُنْ متْفَعِلْ مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَا

.....

أَصَحُ وَأْقَوى مَاَ سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى مِنْ الخَبَرِ المَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيْمِ[3].

أصحح وأقوى ما سمعناه في نندى من لخبر لمأثور منذ قديمي

0//0//0/0//0/0/0///0// 0/0///0//0/0/0///0//

فَعُولُ مفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِلُنْ فَعُولُ مفَاعِيلُنْ فَعُولُ مفَاعِلْ

(1)- ابن رشيق: الديوان ، ص100.

(2)- المصدر نفسه، ص152.

(3)- المصدر نفسه، ص170.

وَكَأَنَّمَا رَايَاتُـــــهُ مَشْهُورَةٌ يَوْمَ اِقْتِحَامِهِ[1].

وكأننما راياتهـــو مشهورتن يوم اقتحامهي

0//0//0//0//0//0/ 0//0/0/0//0///

مُتَفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتْفعِلْ مُتَفْعِلُنْ.

.....

ذُمَّتْ لِعَيْنِكَ أَعْيُنُ الغِزْلَانِ قَمَرٌ أَقَرَّ لِحُسْنِهِ القَمَـــــرَانِ[2].

ذممت لعينك أعين لغزلاني قمرن أقرر لحسنه لقمراني

0/0///0//0///0//0/// 0/0/0/0//0///0//0/0/

مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ

وما لاحظناه عند تقطيعنا لهذه المقطوعات الشعرية هو أن هناك إضمار في تفعيلة بحر الكامل بحيث تسكن التاء في (مُتَفَاعِلُنْ) لتصبح بذلك (مُتْفَاعِلُنْ)، إضافة إلى وجود حذف في التفعيلة الأخيرة، لتصبح (مُتَفَاعِلْ)، وقد لاحظنا أيضا وجود علة الحذذ حيث تحذف (عِلُنْ) في (مُتَفَاعِلُنْ)، لتصبح بذلك (مُتَفَا) وتنقل إلى (فَعِلُنْ) بتحريك العين.

كما لاحظنا أيضا وجود قبض في تفعيلة بحر الطويل بحيث حذفت نونه من التفعيلة (فَعُولُنْ) لتصبح (فَعُولُ)، اضافة إلى وجود قبض آخر وهو حذف حرف الياء في (مَفَاعِيلُنْ) لتصبح (مَفَاعِلُنْ).

([1])- ابن رشيق: الديوان ، ص176.

([2])- المصدر نفسه، ص202.

وما نلاحظه عن تقطيع هاته المقطوعات الشعرية أن الزحافات والعلل، التي وجدت هي نفسها قد تكررت في بعض الأبيات وهذا ما يدل على أن وزن هاته المقطوعات الشعرية هو الوزن نفسه.

والزخافات والعلل التي دخلت على هاته المقطوعات الشعرية هي:

الإضمار: (زحاف) "هو أن تسكن الثاني"[1]. فتصبح التفعيلة بذلك كما يلي:

مُتَفَاعِلُنْ ⟵ مُتْفَاعِلُنْ.

القبض: (زحاف) "وهو إسقاط الخامس الساكن"[2]. فتصبح التفعيلة بذلك كما يلي:

مَفَاعِيلُنْ ⟵ مَفَاعِلُنْ.

الحذذ: (علة)"وهو حذف الوتد المجموع من آخر التفعيلة"[3]. فتصبح التفعيلة بذلك كما يلي:
مُتَفَاعِلُنْ ⟵ مُتَفَا.

وكما نلاحظ قد وظف الشاعر بعض الزحافات والعلل، مع المحافظة على موسيقى كل من البحرين، وهذا ما ساعد في تراسل كل أبيات مقطوعاته الشعرية وتلاحم موضوعاته فيها.

([1])- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، ص41.

([2])- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد): القسطاس في علم العروض والقافية، تح، فخر الدين قباوي مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (ط2)، 1410هـ/1989م، ج1، ص31.

([3])- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص184.

2- القافية:

أ- لغة: "مأخوذة من قولك: قفوت فلانا، إذا تبعته. وقفا الرجل أثر الرجل إذا قصه، وقافية الرأس مؤخره"[1].

ب- اصطلاحا: "اعلم أن القافية آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام"[2].

أي أنها: "المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت"[3].

لقد أولى النقاد القدامى والمحدثون القافية في القصيدة الشعرية عناية كبيرة، لأنها من العناصر المهمة في بنائها أيضا إضافة إلى الوزن، كما قد خصصوا لذلك حرف الروي فيها وهو: "قيل إن الروي مأخوذ من الرواء الذي هو الجبل ومن روى الرجل على القوم بالرواء (...) ويجوز أن يكون مأخوذا من رويت الشعر إذا حفظته من أصحابه"[4]. وهو أيضا: "الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد"[5]. حيث تأتي على شكل حروف محددة لها تسميات خاصة بها، فتكوّن مجتمعة مع بعضها البعض قافية كل بيت من أبيات القصيدة الشعرية، فيتطرق الشاعر لبعض منها على حسب موسيقاه الذي يريد إصدارها وموضوعه الذي يريد طرحه في هاته القصيدة.

وتسميات القافية المتعارف عليها في الشعر العربي خمسة وهي:

([1])- التنوخي (القاضي أبو يعلي عبد الباقي بن أبي الحصين عبد الله بن المحسن): القوافي، تح عوني عبد الرؤوف مكتبة الخانجي، مصر، (ط2)، 1978م، ج1، ص59.

([2])- الأخفش الأوسط (أبو الحسن المياشعي بالولاء، البلخي ثم البصري): القوافي، (د.ط)، (د.ت)، ص01.

([3])- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص134.

([4])- التنوخي: القوافي، ص95.

([5])- الأخفش الأوسط: القوافي، ص02.

1-**المترادفة:** وهي التي تنتهي بساكنين 00.

2-**المتواترة:** وهي التي تنتهي بحركة بين ساكنين0/0.

3-**المتداركة:** وهي التي تنتهي بحركتين بين ساكنين 0//0.

4-**المتراكبة:** وهي التي تنتهي بثلاث حركات بين ساكنين 0///0.

5-**المتكاوسة:** وهي التي تنتهي بأربع حركات بين ساكنين 0////0[1].

أما بالنسبة لتقسيم القافية وفقا لحركة رويها، فقد قسمت إلى قسمين اِثنين:

1-القافية المقيدة.

2-القافية المطلقة.

"إن تقييد القافية وإطلاقها مرتبط بسكون الروي أو حركته"[2]. فالقافية المقيدة هي:

ما كانت ساكنة الروي، سواءً أكانت مردفة كما في كلمات: (زمان، حنان)، أم كانت خالية من الردف كما في كلمات: (حسن، وطن)" [3]. "والقافية المطلقة هي: "ما كانت متحركة الروي، أي بعد رويها وصل بإشباع كما في كلمات: (الأمل والعمل) بالكسر والضم مثل: (الأملا والعملا). وكذلك من القافية المطلقة ما وصلت بهاء الوصل سواء أكانت ساكنة، أي بلا خروج، أم متحركة، أي ذات خروج"[4].

وفي مقطوعة من مقطوعات الشاعر "ابن رشيق" كانت القافية كما يلي:

([1])- الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، تح، الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (ط3)، 1415هـ/1994م، ص 147،148.

([2])- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، ص164.

([3])- المرجع نفسه، ص164،165.

([4])- المرجع نفسه، ص165.

عَنْ مِثْلِ فَضْلِكَ تَنْطِقُ الشُّعَرُاءُ وَبِمِثْلِ فَخْرِكَ تَفْخَرُ الأُمَرَاءُ[1].

عن مثل فضلك تنطق ششعراءو وبمثل فخرك تفخر لأمراءو

0/0/0///0//0///0//0/0/ 0/0///0//0///0//0///

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ

والقافية هي: رَاءُو: /0/0. وقد جاءت هنا مطلقة غير مقيدة، بمعنى أنها انتهت بمتحرك.

وفي مقطوعة أخرى كانت القافية كما يلي:

يَعِيْبُونَ بَلْقِيسِيَّةً أَنْ رَأَوْ بِـــــهَا كَمَا قَدْ رَأَى مِنْ تِلْكَ مَنْ نصَبَ الصَّرْحَا[2].

يعيبون بلقيسييتن أن رأو بها كما قد رأى من تلك من نصب صصرحا

0//0//0/0//0/0/0//0/0// 0/0/0///0//0/0/0//0/0//

فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُ مفَاعِيلُنْ

والقافية هي: صَرْحَا: /0/0. وقد جاءت كذلك مطلقة غير مقيدة، بمعنى أنها انتهت بمتحرك.

لقد تجلى جمال القافية في مقطوعات "ابن رشيق"، وذلك في تطابقها مع غرضه المطروح "المدح"، لأنه يستدعي من الشعراء إستخدام القوافي المطلقة، التي تساعدهم على إطلاق عنانهم في تعبيرهم عن حالاتهم النفسية الشعورية. إضافة إلى أن القافية تضفي رونقا

(1)- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص16.

(2)- المصدر نفسه، ص54.

على القصيدة الشعرية. بحيث تمنحها إيقاعا موسيقيا متميزا كما تساعد على اتساق وانسجام البيت الشعري والأبيات فيها ككل.

3- الروي:

يعتبر الروي من أساسيات القافية. "لأنه عماد القافية ومركزها"[1]، وقد ذكره "النابغة" فقال: **بحسبك أن تهاض بمحكمات يمر بها الروي على لساني**[2].

ومقطوعاتنا الشعرية ورد في كل من أبياتها حرف أخير من هاته الحروف التالية:

(الهمزة، وحرف الحاء، وحرف السين، وحرف اللام، وحرف الميم، وحرف الهاء، وحرف النون).

والذي يعتبر رويا، حيث لاحظنا أن "ابن رشيق" كان موقفا في اختياره، فقد جاء موافقا لمدحه، ومعظم هاته الحروف قد نظمت عليها الكثير من القصائد في مختلف العصور. كما أنها من الحروف المؤثرة على الأسماع حين ترددها وتكرارها عند نهاية كل بيت. إن الشاعر "ابن رشيق" قد وفق فعلا في التعبير عن ممدوحه وذلك بفضل تلك الحروف المعبرة عن مختلف التعابير الجميلة.

4- الردف:

وهو "يكون من أحد ثلاثة أحرف: الواو، والألف، والياء، وقد تكون الواو ردفا مع ضم ما قبلها وفتحه، وكذلك الياء مع كسر ما قبلها وفتحه (...) والردف ما كان الروي بعده بغير حاجز في المطلق والمقيد"[3].

([1])- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، ص136.

([2])- التنوخي: القوافي، ص93.

([3])- المرجع نفسه، ص107.

وقد جاء الردف في مقطوعاتنا الشعرية على النحو التالي: ياءً في (قديم)، فحرف الروي هو: الميم يسبقه حرف الياء المكسور ما قبله، إذن: الياء هو الردف.

وقد جاء كذلك في (القمران)، ألفا، فحرف الروي هو: النون. سبقه حرف مد وهو: الألف وهو الردف. مع العلم أن الحرف الذي قبل الألف يأتي دائما مفتوحا ولا يكون الألف إلا ردفا محضا.

5- التدوير:

يعد التدوير من مكونات الموسيقى الخارجية أيضا. وهو: "اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة، ويسمى البيت: المدور أو المداخل أو المدمج"[1].

أي أن التدوير يأتي بين صدر البيت الأول وعجزه.

وقد استعمل الشاعر التدوير في هاته المقطوعات الشعرية مرتين. حيث يقول:

تكررت فيه المنا زل منه لا مني الغلط[2].

ويقول أيضا:

أيد تشير إلى العد وبسلمه أو بانهزامه [3].

حيث جاءت كل من لفظتي (المنازل والعدو). لتربط بين شطري البيتين الثانيين من كل مقطوعة، فيكون جزء منها في الصدر والجزء الآخر في العجز.

([1])- حسن عبد الجليل يوسف: موسيقى الشعر العربي، دراسة فنية عروضية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) 1989م، ج1، ص235.

([2])- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص100.

([3])- المصدر نفسه، ص177.

لقد ساهم عنصر التدوير في هاته المقطوعات الشعرية مساهمة كبيرة في جعل إيقاع أبياتها موافقا لما تحمله من دلالات ومعاني، وقد لاحظنا أن كل هذا قد جاء تزامنا مع عصر الإبداع الشعري المغربي الذي عاصره الشاعر وهذا ما يدل على إبداعه أيضا.

ثانيا: الموسيقى الداخلية

وهي تلك الألحان المختبئة بين الكلمات، تحس بها نفس المتلقي خلال عملية تلقيه لمختلف الإبداعات الأدبية سواءا كانت شعرا أم نثرا...

ومنبع كل هاته الألحان الكامنة هي تلك الكلمات المنتقاة بدقة من طرف المبدع فهي متسقة ومنسجمة فيما بينها، سهلة النطق، حيث يبرز المبدع حسن تذوقه ومهاراته العالية في استخدامه المعجم اللغوي. فللحروف والكلمات إيحاءات وتعبيرات جمة غنية بالمعاني ذات القيمة الكبيرة، حيث كانت كل من الموسيقى الداخلية إضافة إلى الخارجية المكثّفَ الرئيسي في إبراز الإيقاع الموسيقي للأبيات الشعرية. وقد كانت هاته الموسيقى الداخلية تصدر في شكل محسنات بديعية مختلفة تمثلت في:

1- الطباق:

أ- لغة: "يقال له التطبيق والطباق والتضاد والمطابقة في أصل الوضع اللغوي أن يضع البعير رجله موضع يده، فإذا فعل قيل طباق البعير"[1].

ب- اصطلاحا: "هو أن يجمع بين معنيين متضادين، نحو (أضحك وأبكى وأمات وأحيا) ونحو: ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾" [2].

([1])- عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص76.

([2])- محمد علي السراج: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو الصرف والبلاغة، والعروض واللغة والمثل، دار الفكر دمشق، (ط1)،1403هـ/1983م، ج1، ص182.

وقد يأتي الطباق في شكل لفظتين من جنس واحد، كأن يكون بذلك للفظتين المتضادتين اسمين أو فعلين أو حرفين، أو لفظتين من جنسين مختلفين.

ويقسم الطباق إلى قسمين: طباق الإيجاب وطباق السلب.

وطباق الإيجاب هو: "ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا"[1].

أما طباق السلب فهو: "أن يأتي المتكلم بجملتين أو كلمتين، إحداهما موجبة والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتين منفيتين"[2].

وفي مقطوعات "ابن رشيق" الشعرية نجد طباق. وذلك في قول:

ورأى الثرى والماء حولك حملا ما لا يقوم له الثرى والماء[3]

وقد جاء الطباق بين لفظتي (الثرى، والماء) وهما لفظتين متضادتين في المعنى فالثرى يدل على اليابس والماء يدل على البحر.

وفي قوله أيضا:

إذا توجه في أولى كتائبه لم تفرق العين بين السهل والجبل[4].

وقد جاء الطباق بين لفظتي (السهل، والجبل) وهما لفظتين متضادتين في المعنى فالسهل يدل على الأرض المنخفضة والمستوية والجبل يدل على الأرض المرتفعة والوعرة.

([1])- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت (د.ط)، (د.ت)، ص303.

([2])- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح، حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص114.

([3])- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص16.

([4])- المصدر نفسه، ص153.

2- الجناس:

يعتبر الجناس من أهم المحسنات البديعية في البلاغة العربية، فقد لقي عناية كبيرة من طرف النقاد والبلاغيين والدارسين له، وهو: "أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى ويكون: تاما وناقصا ومصحفا"[1].

والجناس نوعان: تام وغير تام، فالتام هو: "ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة، نوع الحروف، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات، وعددها وترتيبها"[2].

وغير التام هو: "ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة" [3].

لقد تكلم البلاغيون كثيرا عن محسن الجناس، فهناك من قال بأنه حسن في الكلام وهناك من قال بأن هذا المحسن يمتاز بالتعقيد والتقييد، في حين تكمن أهميته كمحسن بديعي لفظي في كونه يعتمد على الألفاظ المتناسقة الحروف، المكونة للأصوات الجميلة التي تضع النغم المتميز داخل موسيقى العمل الشعري، ولقد اعتمد الشاعر "ابن رشيق" على الجناس في مقطوعاته الشعرية. وذلك في قوله:

وقد زادها الترغيب ملحا كمثل ما يزيد خدود الغيذ ترغيبها ملحا[4].

والجناس هنا قائم بين (ملحا، وملحا) الأولى والثانية، وقد ساهم هذا الجناس هنا في تقوية المعنى إضافة إلى إبراز ذاك النغم المميز داخل المقطوعة الشعرية.

وقوله أيضا:

([1])- محمد علي السراج: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، ص184.

([2])- أحمد بن إبراهيم مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص325.

([3])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([4])- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص54.

ذمت لعينك أعين الغزلان قمر أقر لحسنه القمران[1].

والجناس هنا حاصل بين (قمر، والقمران)، وهو جناس ناقص. وقد وظف الشاعر هنا هاتان اللفظتان في صياغة جميلة مادحا بهما الملك "المعز".

3- التكرار:

يعتبر التكرار من الأساليب المستعملة في التعبير، حيث يترك أثرا في نفسية المتلقي لما فيه من مغزى أسلوبي وجمال في النغم، ويأتي التكرار بالحرف أو اللفظة أو الجملة.

وهو: "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد"[2].

وقد يستحسن أسلوب التكرار في بعض الأماكن ويستقبح في أخرى، وهذا الذي رآه الشاعر "ابن رشيق" فقال بأن: "للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها"[3].

ونظرا لقيمة أسلوب التكرار في المقطوعات الشعرية، فقد ورد على شكل أنواع مختلفة تمثلت في: تكرار الألفاظ وتكرار الحروف...إلخ.

أ- تكرار الألفاظ:

لقد استعمل الشاعر "ابن رشيق"، تكرار الألفاظ لجعل المعاني أكثر تماسكا ببعضها البعض كذلك لتأكيدها.

وفي أغلب الأحيان نجد بأن التكرار ينم عن قوة وبروز أحاسيس الشاعر، داخل اللفظة المكررة، ولقد استخدم "ابن رشيق" التكرار داخل مقطوعاته الشعرية.

([1])- ابن رشيق: الديوان، ص202.

([2])- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني ثم البغدادي ثم المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص375.

([3])- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص70.

وذلك في قوله:

عن مثل فضلك تنطق الشعراء وبمثل فخرك تفخر الأمراء

ورأى الثرى والماء حولك حملا ما لا يقوم له الثرى والماء[1].

وقوله أيضا:

وحللت من علياء صبرة موضعا أكرم به من موضع ومكان[2].

ففي البيت الأول وردت لفظة (عن مثل) ثم أردفها الشاعر بلفظة (بمثل) في الشطر الثاني من البيت الأول، وفعل نفس الفعل مع لفظة (الثرى والماء) في البيت الثاني، وكذلك مع لفظة (موضعا وموضع).

حيث تعتبر هاته الألفاظ بمثابة الطريق الذي يسلكه الأسلوب في مدح الشخص الممدوح والإشادة بذكر خصاله الحميدة.

وفي قوله كذلك:

لو أثمرت من دم الأعداء سمرقنا لأورقت عنده سمرالقنا الذبل[3].

ونلاحظ تكرار لفظة (سمرقنا) في صدر البيت الشعري وعجزه، وقد ساهم هذا التكرار في خلق نغم موسيقي مميز داخل المقطوعة الشعرية.

وقوله أيضا:

فالجيش ينفض حوليه أسنته نفض العقاب جناحيه من البلل[4].

([1])- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص16.

([2])- المصدر نفسه، ص203.

([3])- المصدر السابق، ص152.

([4])- المصدر نفسه، ص153.

وقد أتى هذا التكرار هنا في لفظة (ينفض ونفض)، حيث عمل هذا التكرار على إصدار إيقاع موسيقي داخلي عذب ساهم كثيرا في تقوية المعنى ووضوحه.

ب- تكرار الحروف:

لقد تكررت الحروف كثيرا في مقطوعات "ابن رشيق"، حيث ساعدت بهذا التكرار على إضفاء إيقاع موسيقي داخل الأبيات الشعرية، كذلك قد تكرر حرف الروي في هاته المقطوعات الشعرية، وسيطر وأثر على كل بيت فيها بكل أنواع الحروف المهموس منها والمجهور، إضافة إلى سيطرة حروف أخرى على خلاف حرف الروي.

ومن أمثلة هذا التكرار. قول "ابن رشيق":

لدن الرماح لما يسقي أسنتها من مهجة القيل أو من ثغرة البطل [1].

فتتابع حرف اللام والسين والميم في هذا البيت، كون جمالا وجرسا موسيقيا لطيفا نتج عنه تفاعل داخلي؛ تتأثر به نفس المتلقي وتنشرح وترتاح له.

كما نجد أن "ابن رشيق" قد كرر حرف اللام بكثرة في مقطوعاته الشعرية. ومثال ذلك قوله:

أخت العدينة في اسم لا يشاركها فيه سواها من البلدان والتمس

وعظم الله معنى لفظها قسمـــــا قلد إذا شئت أهل العلم أو فقس[2].

لقد جعل الشاعر من حرف اللام بنية صوتية مهمة للغاية، ولهذا الغرض أكثر من استعماله في شعره، حيث أنتج به شكلا من أشكال الموسيقى، وذلك بتكرار هذا الحرف في عدة مواضع.

([1])- ابن رشيق: الديوان ، ص152.

([2])- المصدر نفسه، ص94،95.

وقد قال أيضا:

فالجيش ينفض حوليه أسنته نفض العقاب جناحيه من البلل[1].

ونلاحظ أن الشاعر قد كرر حرف النون، لأن هذا الحرف يحمل غنة وبتكراره تتولّد جمالية إثر النغم الذي يصدره، والذي يعبر بدوره عن ما بنفس الشاعر.

لقد لعب التكرار دورا مهما وبارزا داخل أبيات المقطوعات الشعرية، وهذا بفضل تنوعه، حيث عبر عن كل ما يختلج نفسية الشاعر من مشاعر وأحاسيس، أحدثت انفتاحا كبيرا داخل النص الشعري، وأحدثت إستقبالا وإعجابا كبيرا لدى المتلقي، ليترك بذلك أثرا فنيا كبيرا يوحي بعمق عن شدة تأثره به.

(1)- المصدر السبق، ص153.

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة مقطوعات غرض المدح لابن رشيق المسيلي، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- ظهر غرض المدح في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، وهو من أغراض الشعر الغنائي؛ الذي يبوح فيه الشعراء بكل المشاعر التي تختلجهم تجاه اعجابهم وتأثرهم الشديد بممدوحهم.
- لقد اتسع نطاق غرض المدح ليصبح كالفخر خلال عصر صدر الإسلام بين كل من المسلمين والكفار.
- كذلك اتسع نطاق غرض المدح في العصر الأموي لينتصر كل شاعر في مدح حزبه الذي ينتمي إليه.
- أما في العصر العباسي فقد استولى غرض المدح على مكان كبير من الشعر العربي لغاية التكسب به.
- في بلاد الأندلس وجه الشعراء غرض المدح إلى الأمراء والخلفاء والحكام نظرا لقيمتهم وقيمة ما يقدمونه لشعوبهم.
- لقد اعتمد شعراء الأدب المغاربي القديم في غرض المدح على لغة شعرية تعبر على ما بداخلهم من أحاسيس ومشاعر جميلة.
- لقد وضع النقاد والشعراء القدامى شروطا لغرض المدح تمثلت في صفات وفضائل ظاهرة وباطنة إضافة إلى استعمال الأسلوب الجزل والألفاظ المنتقاة.
- كما اختلفوا أيضا في القول بالمبالغة والإغراق فيه والعكس؛ فهناك من قال بالمبالغة فيه وهناك من قال بعكس ذلك.
- لقد اختلف بناء القصائد المدحية بين الشعراء؛ فهناك من انتهج نهج القدامى في شيء من الشعر ثم الدخول إلى غرض المدح، وهناك من فضل الدخول بالغرض مباشرة.
- لقد تنوعت مواضيع غرض المدح بحسب تنوع الممدوح فهناك "المديح الديني ومديح الملوك والأمراء والخلفاء، وهناك مديح العلماء والأدباء، وهناك مديح الأوطان والبلدان".

- أما عن بناء المقطوعات الشعرية عند ابن رشيق، فقد وجدنا بأنه متمسك بتقاليد بناء القصائد الشعرية العربية القديمة من مطلع وحسن تخلص وخاتمة.
- ومن خلال دراسة المعجم اللغوي لهذا الشاعر، وجدنا بأن هناك تنوع وانسجام في الألفاظ كذلك وجدنا بأنها حققت اتساق كبير ونغم موسيقي بين الأبيات الشعرية.
- يمثل النص الشعري عند ابن رشيق معناه، وذلك في تلاحم لغوي مبني على طابع السهولة والبساطة، مع الابتعاد عن المفردات الأعجمية، فمصدر ألفاظه القرآن والسنة النبوية.
- أما عن تشكيل موسيقاه الشعرية، فقد وفق ابن رشيق في اختياره لبحر الكامل وبحر الطويل واستعماله الأحرف الغناءة كحروف للروي، مما يبعث في النفس نغما موسيقيا جميلا يوحي بعمق التعابير.
- أما من جانب الموسيقى الداخلية، فقد تمثلت في الجناس والطباق والتدوير... والتي ساعدت كذلك على خلق نغم موسيقي أضفى بدوره طابعا جماليا داخل المقطوعات الشعرية.

وأدعو الله أن ينال هذا البحث الرضى والقبول، وأن يكون بداية للدراسات في هذا النوع من الموروث الأدبي القديم، الذي يحتاج إلى الكثير والكثير من الإجتهاد فيه للوصول والكشف عنه لأنه يعتبر تراثا أدبيا فنيا غنيا بكل معنى الكلمة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1. ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني): الديوان، جمعه ورتبه عبد الرحمان ياغي دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
2. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، والطباعة، (ط5)، 1401هـ/1981م.
3. إبن رشيق القيرواني: العمدة، تح محمد محي الدين، مطبعة مجازي،1934 م.
4. ابن رشيق: ديوان ابن رشيق القيرواني، جمع وترتيب عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1409هـ، 1989م.
5. ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسي، وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)،(د.ت).
6. ابن جني: الخصائص، تح، محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، (د.ط)، (د.ت).
7. ابن جني:(أبو الفتح عثمان الموصلي): العروض، تح، أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، (ط1)، 1407هـ / 1987م.
8. إبن خلكان: وفيات الأعيان، تح: إحسان عبّاس، مطبعة الثقافة، بيروت، (د.ط) (د.ت)
9. ابن طباطبا (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا): عيار الشعر، تح عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
10. ابن قتيبه الدينوري: الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، 1966م.
11. امرئ القيس: ديوان، اعتنى به وشرحه، عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة بيروت، لبنان، (ط2)، 1425هـ / 2004م.
12. الجرجاني (علي بن عبد الله): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح، محمد أبو الفضال إبراهيم، علي محمد اليحياوي المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (ط1)، 2006.

13. زهير بن أبي سلمى: الديوان، شرحه وقدمه له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1) 1407هـ/1988.
14. قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي: نقد الشعر، تح، أبو الفرج، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، (ط1)، 1302هـ.
15. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
16. قدامة جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عيسى ممنون، (د.ط)، 1934م.
17. القرطاجني (أبو الحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
18. محمد بن أحمد الأزهري الهروي: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)،2001م.

المراجع:

19. محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون، الجزئر، (د.ط)،5، 2010م.
20. إيمان محمد أمين كيلاني: بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2008م.
21. أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (ط12)، 2003م.
22. الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، تح، الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (ط3)، 1415هـ/1994م.
23. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي القاهرة، (ط3)، 1417هـ /1997م.
24. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان (ط1)، 1994م.

25. أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، مطبعة دار النّهضة، القاهرة، سبتمبر 1992.

26. عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د.ط)، 1990م.

27. حسن عبد الجليل يوسف: موسيقى الشعر العربي، دراسة فنية عروضية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1989م.

28. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد): القسطاس في علم العروض والقافية، تح، فخر الدين قباوي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (ط2) 1410ه/1989م.

29. محمد علي السراج: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو الصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، دار الفكر دمشق، (ط1)،1403ه/1983م.

30. التنوخي (القاضي أبو يعلي عبد الباقي بن أبي الحصين عبد الله بن المحسن) القوافي، تح، عوني عبد الرؤوف مكتبة الخانجي، مصر، (ط2)، 1978م.

31. زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، (ط1)، 1935م.

32. القلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط) 1913م.

33. التبريزي: شرح المعلقات العشر، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر،1352ه.

34. عبد العزيز الميمني الراجكوتي السلفي: النتف، من شعري ابن رشيق وابن شرف القيرواني، (ابن رشيق، المعز بن باديس، عمران القيروان، حياة ابن رشيق)، عنيت بالنشر المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة، 1342.

35. أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

36. الأخفش الأوسط (أبو الحسن المياشعي بالولاء، البلخي ثم البصري): القوافي (د.ط)، (د.ت).
37. جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، (ط1)، (د.ت).
38. عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
39. عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط) (د.ت).
40. عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح، حنفي محمد شرف الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).
41. فوزي سعد عيسى: العروض العربي، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.ت).

المعاجم:

42. إبن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996 م.
43. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة 1399هـ/1979م.
44. أبو الحسين علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)،1421هـ/2000م.
45. أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: معجم الشعراء، بتصحيح وتعليق: ف. كرنكو مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2)، 1402 هـ/ 1982م.
46. أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني: معجم الشعراء العرب، تح، فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1425هـ/2005.
47. فيروز آبادي: القاموس المُحيط، تح، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط8)، 1432هـ/2005م.

48. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض (مرتضى الزبيدي): تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)،(د.ت)، (د.ب).

49. محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت،(ط3)،1414هـ.

50. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان،1397هـ/1993م.

المقالات:

51. محمد شرف بياني: المدح في الشعر العربي القديم نشأته وتطوره وبناء قصيدته، مقال بإشراف فيروز حريرجي، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم وتحقيقات طهران(23ماي2010م).

المواقع:

52. منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: http://ens-mustapha.mam9.com/t2486-topic#ixzz4denu5JgW .(2017/02/20)

الملاحق

الملاحق

أولا: التعريف بالشاعر

1- نسبه:

"ابن رشيق القيرواني(*) الأزدي"(**) هو: "أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، "ولد بالمسيلة وقيل بالمهدية(***)عام 1000م، وتوفي في صقلية(****)عام 1071م؛ حيث يجمع معظم الدارسين لسيرة هذا الشاعر على أنه ولد بالمحمدية(*****) (المسيلة)، حيث يقول "ابن رشيق" بنفسه: "مولى من موالي الأزد ولد بالمحمدية..." [1].

انتقل إلى القيروان سنة 406هـ، وغادرها إلى المهدية بعد سنة "449هـ، وغادر المهدية ثم رجع إليها ثم غادرها من غير رجعة إلى صقلية في سنة 454هـ، أو بعدها بقليل[2].

(*) - "القيروان": لفظ فارسي أصله (كارون)؛ وتعني: قافلة، من الألفاظ المعرّبة قديما، وهي مدينة تونسية. (ينظر، ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، لبنان،1397هـ/1993م، ج4، ص220،422).

(**)-"الأزد": قبيلة تنسب إلى "الأزد بن الغوث بن النبت بن زيد بن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"؛ كانت منازلهم في منطقة سد مأرب باليمن، وبعد انهياره تفرقوا في البلدان.(المرجع: الشبكة العنكبوتية).

(***)-"المهدية": جزيرة متصلة بالبر، تنسب إلى المهدي، أعجبه موضعها الذي كان يسمى "جزيرة الخلفاء"، بنيت سنة 303هـ، كانت تزخر بالعديد من العلماء. (ينظر: ياقوت الحموي، "معجم البلدان، ج5،230،231).

(****)- "صقلية" جزيرة تقسم البحر المتوسط إلى قسمين (شرقي وغربي)، ظلت تحت حكم "الأغالبة" إلى غاية سقوطها سنة 484هـ. (المرجع: الشبكة العنكبوتية).

(*****)- "المحمدية": "المسيلة"؛ سميت باسم "أبو القاسم محمد بن المهدي الملقب "بالقائم" في أيام أبيه، الذي أمر ببنائها عند مروره بموضعها وإعجابه بها، (ينظر: ياقوت الحموي، "معجم البلان، ج5، ص64،65).

(1)- ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسي، وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص39.

(2)- ابن رشيق: ديوان ابن رشيق القيرواني، جمع وترتيب عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1989م، ص09.

2- تعليمه وأثاره:

كانت القيروان أيام "ابن رشيق" قبلة الطلاب، والتقى فيها الشوامخ من العلماء والأئمة والفصحاء، وكان شيوخه ذوي اتجاهات واسعة متنوعة: منهم من اشتهر باللغة، ومنهم من غلب عليه النقد، ومنهم من غلب عليه الشعر، ومنهم من غلبت عليه الكتابة[1].

تأثر "ابن رشيق" كثيرا بكل تلك الأصداء والثقافات المتنوعة التي كانت تصل إلى القيروان والمهدية...من مختلف الأمصار أمثال: "مصر والشام والمشرق والمغرب وبلاد الأندلس"، حيث تتلمذ على يد علماء من عصره أشهرهم: "أبو الحسن علي بن أبي الرجال".

شغل "ابن رشيق" مجالس عصره الأدبية، حيث قامت بينه وبين "ابن شرف" مساجلات ومناقضات أثمرت كثيرا من الرسائل[2].

لقد تنوعت آثار "ابن رشيق"؛ حيث ذكر له الكثير من الرواة كتبا في النقد والأدب والنثر والشعر منها: "الديوان الشعري، وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"؛ حيث تحدث فيه عن فنون النقد فكان سببا في ذياع صيته وإشتهاره، كذلك كتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب"، وكتاب: "الشذوذ"؛ الذي ذكر فيه كل كلمة شاذة في بابها عربية في معناها.

هذا بالإضافة إلى أعمال جمة في كل من الصناعتين (الشعر والنثر) وفن الرسائل... وكل هاته المؤلفات القيمة إن دلت على شيء فإنها تدل على قدرته الفائقة وتبصره.

(1)- ابن رشيق القيرواني: الديوان، ص09.

(2)- المصدر نفسه، ص10.

3- شخصيته:

اسم "رشيق" من الأسماء العربية المستعملة بكثرة في ألقاب العائلات العربية الأصل المنتصبة بإفريقيا في ذلك الزمان، و"الرشيق" معناه: الحسن القوام[1].

كان "ابن رشيق" آية في الذكاء وغاية في قوة القريحة في صباه، وكان أبوه صائغا كما ذكرت الكتب، علم إبنه صناعته مع شيء من العلم إلا أن قريحته الوقادة لم تجد ببلدة المسيلة مجالا فارتحل إلى القيروان لتكميل العلوم سنة 406هـ[2].

(1)- عبد العزيز الميمني الراجكوتي السلفي: النتف، من شعري ابن رشيق وابن شرف القيرواني، (ابن رشيق، المعز بن باديس، عمران القيروان، حياة ابن رشيق)، عنيت بالنشر المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة، 1342، ص35.

(2)- المرجع نفسه، ص37.

ثانيا: المقطوعات الشعرية

1- عن مثل فظلك تنطق الشعـراء وبمثل فخرك تفخر الأمـــراء

وَأَرَى الثَّرى والمَاءَ حَوْلَكَ حُمَّلا مَا لا يَقُومُ لَهُ الثَّرَى والمَـــاءُ

لَمْ يَبْقَ مِنْ طُرَفِ الْعِراقِ وَغَيْرِهِ شَيْءٌ يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْــهُ رُوَاءُ

حَتَّى كأَنَّ الشَّرْقَ أَعْمَلَ فكْـرَهُ في أَنْ حَوَتْهُ يَمِينُكَ الْبَيْضاءُ

.....

2- يَعِيْبُونَ بَلْقِيسِيَّةً أَنْ رَأَوْ بِـــــهَا كَمَا قَدْ رَأَى مِنْ تِلْكَ مَنْ نصَبَ الصَّرْحَا

وقد زادها الترغيب ملحا كمثل ما يزيد خدود الغيذ ترغيبها ملحـــــــا

.....

3- أتى بعد أهل العـــلى كجملة شيء شـــــرح

.....

4- أخت العدينة في اسم لا يشاركهـا فيه سـواها من البلدان والتمـس

وعـــظّم الله معى لفظها قســمًا قلّد إذا شئت أهل العلم أو فقـس

.....

5- قَدْ طَالَ حَتَى خِلْتُـــهُ مِنْ كُلِ نَاحِيةٍ وَسَـــطْ

وتكررت فيه المنـــا زل منه لا مني الغلط

.....

6- لَدْنُ الرِّماحِ لَما يَسْـقـــي أَسنتَـــها مِنْ مُهْجَةِ الْقَيْلِ أَو من ثَغْرَةِ البَطَلِ

لَوْ أَثْمَرَت مِنْ دَمِ الأَعداءِ سُمْرُقَنــاً لأَوْرَقَتْ عِنْدَهُ سُمْـــــرُالْقَنا الذُّبُـل

إذا تَوَجَّــهَ فــي أُولــى كَتــائِبِــهِ لَم تَفْرِقِ الْعَيْنُ بينَ السَّــهلِ والْجَبَلِ

فَالْجَيْشُ يَنْفُضُ حَوْلَيــهِ أَســنَّتَــهُ نَفْضَ الْعُقابِ جَناحَيْهِ مِنَ البَلَــــلِ

يَأْتي الأمُورَ على رِفْقٍ وفي دَعَــةٍ عَجْلانَ كالْفَلَكِ الدَّوَّارِ فــــــي مَهَلِ

.....

7- أَصَحُ وَأْقَوى مَاَ سَمِعْنَاهُ فِي النَّــدَى مِنْ الخَبَرِ المَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيْــــمِ

أحاديث ترويها السيول عن الحيــا عن البحر عن كف الأمير تميم

.....

8- وَكَأَنَّمَا رَايَاتُــــــهُ مَشْهُوَرَةٌ يَوْمَ اِقْتِحَامِــــهِ

أيد تشير إلى العد و بسلمه أو بانهزامـــه

.....

9- ذُمَّتْ لِعَيْنِكَ أَعْيُنُ الغِــــــزْلَانِ قَمَرٌ أَقَرَّ لِحُسْنِهِ القَمَــــــــــرَانِ

وَمَشَتْ ولا والله ما حِقْفُ الْنَّقــا مِمَّا أَرَتْكَ وَلا قَضيبُ البــــــانِ

وَثَنُ المَلاحَةِ غَيْرَ أَنَّ دِيانَتــــي تَأبى عليَّ عبادةَ الأوثــــــانِ

يا ابْنَ الأعِزَّةِ مِنْ أَكابِرِ حِمْيَــــرٍ وسلالةِ الأملاكِ منْ قحطـــانِ

من كل أبلج آمر بلسانـــــــه يضع السيوف مواضع التيجــان

وحللت من علياء صبرة موضــعا أكرم من موضع ومكــــــــان

زادت بناه على الحوزنق بسطــة وحوت أعز حمى من النعمـــان

وغدا بن ذي يزن بسفل دونـــه هما نزلن به على غمـــــدان

الملخص

الملخص:

تناولت في هذا البحث موضوع المدح عند "ابن رشيق المسيلي دراسة فنية". وحاولت أن أكشف بدوري قيمته الجمالية والفنية.

واقتضت طبيعة دراستي أن أقسمها إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة إذ بينت في المقدمة موضوع البحث والأسباب التي أدت بي لإختياره وخطة البحث ومنهجه.

وفي التمهيد تناولت الحياة في ظل الدولة الصنهاجية، أما الفصل الأول فعملت فيه على دراسة فن المدح من خلال نشأته وتطوره وشروط بنائه وأنواعه في الأدب العربي القديم.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للدراسة الفنية من حيث اللغة والألفاظ والموسيقى الداخلية والخارجية في المقطوعات الشعرية.

وختمت البحث بخاتمة قدمت فيها أهم النتائج المتوصل إليها والمستخلصة منه.

الكلمات المفتاحية:

- غرض المدح في الشعر العربي القديم.
- دراسة فنية لغرض المدح عند "ابن رشيق المسيلي".

Abstract :

In this research , i dealt with the subject of allegory in ‘’Ibn Rachik Elm’sily , An artistic study’’. I tried to shed light , in my turn , on its aesthetic and artistic value.

The nature of my work meant to devide it into an introduction , a preface two chapters and a conclusion.

I showed in the introduction the subject of the research and the causes which led me to choose it , the outline of the research and its method ,and in the preface , i dealt with life during the Senhadjist government.

In the first chapter ,i worked on the study of the art of allegory through its beginning ,development ,the conditions of its building and its categories in the classic arabic literature.

The second chapter is devoted to the aesthetic study concerning language terms and internal and external music in forms of poetry.

I concluded the research with the most important results reached.

Key words :

The purpose of allegory in classic arabic poetry.

An artistic study for the purpose of allegory in ‘’Ibn Rachik Elm’sily’’.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
الشكر والتقدير	
مقدمة	أ-جـ
تمهيد	6
الفصل الأول: فن المدح في الشعر العربي القديم نشأته وتطوره وشروطه وبناء قصيدته وأنواعه	
المبحث الأول: تعريف المدح	10
أولا: لغة	10
ثانيا: اصطلاحا	10
ثالثا: نشأة المدح وتطوره	11
1- المدح في العصر الجاهلي	15
2- المدح في صدر الإسلام	15
3- المدح في العصر الأموي	16
4- المدح في العصر العباسي	16
5- المدح في العصر الأندلسي	17
6- المدح في الشعر المغاربي القديم	18
المبحث الثاني: المدح في الشعر العربي القديم	19
أولا: شُروط المَديحَة	19
ثانيا: الغُلوّ والمبالغة في المديحة	21

فهرس المحتويات

ثالثا: بناء القصيدة المدحيّة	24
المبحث الثالث: أنواع المدح	27
أولا: المديح الديني	27
*مدح الله–عز وجل–	27
* المديح النبوي	28
* مدح آل البيت	30
ثانيا: مديح الملوك والخلفاء	32
ثالثا: مديح الأمراء والوزراء والوجهاء	34
رابعا: مديح العلماء والأدباء	36
خامسا: مديح الأوطان والبلدان	37
* مديح الأوطان	37
* مديح البلدان	39
الفصل الثاني: الدراسة الفنية لمقطوعات ابن رشيق	
المبحث الأول: بناء القصيدة عند ابن رشيق المسيلي	41
أولا: المطلع	41
ثانيا: حسن التخلص	44
ثانيا: الخاتمة	46
المبحث الثاني: اللغة والأسلوب عند ابن رشيق المسيلي	47
أولا: اللغة	47
1– خصائص اللغة عند ابن رشيق المسيلي	49
ثانيا: الأسلوب	53

فهرس المحتويات

المبحث الثالث: المعجم الشعري عند ابن رشيق المسيلي	54
1- ألفاظ الطبيعة	55
2- الألفاظ الدينية	56
3- ألفاظ الحيوان	57
4- ألفاظ المدن	58
المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية عند ابن رشيق المسيلي	59
أولا: الموسيقى الخارجية	60
1- الوزن	61
2- القافية	67
3- الروي	70
4- الردف	70
5- التدوير	71
ثانيا: الموسيقى الداخلية	72
1- الطباق	72
2- الجناس	74
3- التكرار	75
خاتمة	80
قائمة المصادر والمراجع	83
الملاحق	89
الملخص	95
فهرس المحتويات	98